الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الأدب العربي

UNIVERSITE
Abdelhamid Ibn Badis
MOSTAGANEM

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب المقارن الموسومة بـ :

جهود محمد عباسة في إثراء وترقية الدراسات الأدبية المقارنة في الجزائر

من إعداد:
* بلعربي خديجة

بإشراف الأستاذة:
* مسعودي فاطمة الزهراء

السنة الجامعية: 2016 - 2017

كلمة شكر

بسم الله الرحمن الرّحيم

« وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْم عَلِيم»

لا يسعنا بعد أن أنجزنا هذه الدراسة بعون الله وتوفيقه إلاّ أن نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان وخالص التقدير والعرفان بالفضل الكبير للأستاذة الفاضلة ***"مسعودي فاطمة الزهراء"*** التي أشرفت على هذه الرسالة.

كما أشكر كل من تعاون معنا وساهم في إخراج هذه الرسالة إلى حيز الوجود وأخص بالذكر الأستاذ ***"عباسة محمد"*** والشكر موصول إلى كافة أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة مستغانم.

شكرا.

الإهـــــداء

بسم الله الرحمن الرّحيم

« وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاه وَبِالوَلِدَيْن إِحْسَانا »

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى أعز ما أملك في الوجود بعد الله عزّ وجلّ

إلى التّي غمرتني بحنانها وعطفها، فكانت النبراس الذّي أنار درب نجاحي

يا أحلى نعمة يهتز لها فؤادي.

إلى الذّي سهر على تعليمي وكان محل ثقتي واطمئناني في الحياة

إلى الذّي علمني كيف يكون العطاء بلا حدود

إلى الذّي رسم لي طريق التواضع والعلم رمزا من الصمود والقوة

إلى والدي العزيز.

إلى إخوتي: ميلود، عواد، فاروق.

إلى أخواتي: سنية، فاطمة، ربيعة، نادية.

إلى البراعم عائلتي: إسلام، أمينة، محمد، أحلام، بشرى، فاطمة.

إلى الصديقة التّي شاركتني في إنجاز هذه المذكرة: ربيعة.

إلى كل من أكن لهم الحب والاحترام وإلى كل من يسكنون قلبي

قد ذكرهم قلمي ولم يوفيهم حقهم.

إلى كل عين ألقيت على هذا العمل وكل ساعد لمسه.

إلى كل من تمنى لي النّجاح ولو في خلجات نفسه.

إليكم جميعا أهدي ثمرة هذا العمل الذّي بين أيديكم والحمد لله.

بسم الله الرحمن الرّحيم

" قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ ".

صدق الله العظيم

المقدمة

المقدمة:

يعد الأدب المقارن من بين أكثر العلوم الإنسانية أهمية، وأوسعها فائدة، نظرا لزرع أسباب التآخي والتسامح بين الشعوب وتوطيد العلاقات فيما بينها، ولا يزال المشتغلون به ينتظرون منه الكثير ويطمعون في الاستفادة منه ومن مناهجه، وتوسيع مجال الدراسة فيه.

انتقال هذا الدرس إلى الوطن العربي في إطار عملية المثاقفة الكبرى بين الأدب الغربي والأدب العربي، كان له اهتمام قوي في العالم العربي عامة والمغرب العربي خاصة، منذ ارتباطه بالمؤسسات الأكاديمية، واعتماده أيضا على الجامعات المغاربية حيث ظهرت لتشجيع البحث والتأليف وعقد الملتقيات التي تجمع شمل المقارنين العرب.

ونحن نأمل من خلال هذه الدراسة حول "جهود الدكتور محمد عباسة في ترقية الدراسات المقارنة في الجزائر" الاقتراب أكثر من مقومات هذا الدرس باعتباره جزء لا يتجزأ من الوطن العربي، والضرورة المنهجية هي التي فرضت علينا مثل هذا التخصص. والتعريف بجهود المقارنين المغاربة التي أعمالهم حبيسة البلد. فلا يتم الاستفادة منها بعكس الأعمال المقارنة بالمشرق العربي التي تبلغ كل الأقطار العربية، ومن هنا نطرح الإشكال: كيف أسهمت جهود الدكتور محمد عباسة في إثراء الدراسات المقارنة في الجزائر؟

ومن الأسباب التي حفزتنا على الاهتمام بهذا الموضوع، هي الرغبة في المساهمة ولو بالنزر اليسير في خدمة الأدب المقارن، وإضافة إلى الأسباب الشخصية، هناك أسباب موضوعية أسهمت بدورها في توجيه الاهتمام من بينها: القيمة الأساسية لهذا الموضوع.

أما السبب الثاني فيتمثل في عدم وجود دراسة أو بحث يعالج هذه القضية إذ نجد الدكتور سعيد علوش تحدث في دراسته عن "مكونات الأدب المقارن بالوطن العربي" (1986) التي تحاول رسم خريطة للأدب المقارن، والتي اعتنت بتقييم الجهود العربية عامة والجهود العربية خاصة. كما نعثر على بعض الدراسات نحو مقالة للأستاذ بومدين الجيلالي حول "اهتمامات الأدب المقارن في الجزائر"، الذي كرس جهود المقارنين في الجزائر.

وأمام هذه الأسباب، فمن المفروض تحديد خطة لهذا العمل. حيث جاءت هذه الدراسة موزعة على ثلاثة فصول مقسمة على النحو التالي:

في الفصل الأول اعتمدنا على ثلاثة مباحث، ففي المبحث الأول تطرقنا إلى نشأة الأدب المقارن، أما في المبحث الثاني فسلطنا الضوء على نشأة الأدب المقارن عند العرب. أما المبحث الثالث فتحدثنا فيه عن المقارنين العرب وموقفهم من مدارس الأدب المقارن. أما الفصل الثاني فاعتمدنا فيه على ثلاثة مباحث، ففي المبحث الأول تحدثنا عن ثقافة الباحث، أما المبحث الثاني فتطرقنا فيه عن منهج الباحث بين مدارس الأدب المقارن. أما الفصل الثالث فتحدثنا فيه عن نماذج من أعمال الدكتور محمد عباسة، وينقسم إلى ثلاثة مباحث، في المبحث الأول تحدثنا عن التأثير والصلات الأدبية، أما المبحث الثاني فتطرقنا فيه عن الفلسفة والتصوف. ثم ختما البحث بجملة من النتائج التي توصلنا إليها. واقتضى إنجاز هذا البحث اللجوء إلى عدد من المناهج لشساعة الموضوع:

- المنهج التاريخي: الذي اهتم بالأدب المقارن عالميا وعربيا، من خلال نشأه هذه الدراسة في فرنسا وانتقالها إلى مختلف بلاد العالم (أمريكا، إيطاليا، ألمانيا).
- اعتمدنا أيضا على المنهج الوصفي: وذلك من خلال الحديث عن مظاهر الأدب المقارن، وتحولاته الحديثة.
- المنهج النقدي: اعتمدنا على هذا المنهج في تحليل النماذج التطبيقية في تحديد الأسس المنهجية للبحث في حقل الأدب المقارن.
- المنهج المقارن: في إطار المقارنة بين مدارس الأدب المقارن والمقارنة بين الأعمال البارزة للمقارنين والعناوين المشتركة سواء من حيث الموضوع أو المنهج المعتمد عليه.

ومن الصعوبات التي تعرضنا لها، تتمثل في طبيعة هذا العمل الشاق وخاصة أثناء جمع المصادر المنجزة في مجال الأدب المقارن. واقتضت هذه الخطوة في جمع مراجع مختلفة ما بين الكتب والمقالات، تبع هذا العمل عمل آخر وهو قراءة المادة المجمعة، واختيار ما يتلاءم مع هذا البحث، وهذا يتطلب منا جهدا ووقتا كبيرا، لكثرة المصادر والمراجع.

ولقد كان للأستاذة فاطمة الزهراء مسعودي الفضل الكبير في توجيه الدراسة ومساعدتي على تخطي الصعوبات طيلة الفترة التي استغرقها إنجاز هذا البحث، فلها جزيل الشكر والتقدير.

الفصل الأول

1.1- نشأة الأدب المقارن:

نقصد هنا نشأة الأدب المقارن في أوربا، حيث أكمل مفهومه وتشعبت أنواع البحث فيه وصارت له أهمية بين علوم الآداب لا تقل عن أهمية النقد الحديث بل أصبحت نتائج عماد الأدب والنقد الحديث معا، وفي تتبعنا لنشأة هذا العلم الحديث من علوم الأدب الملم بنظريات في النقد وبأسس عامة في دراسات تاريخ الأدب كان لها بالغ الأثر في ميدان هذا العلم واكتمال معناه، وعلى دارس الآداب عامة الإلمام بها، كما أنها جوهرية للوقوف على تطور مفهوم الأدب المقارن حتى يتيسر لنا فهم دراساته الحديثة ومناهج بحثه. ومن الطبيعي أن يسبق الأدب المقارن بوصفه علما وجود ظواهره المختلفة في الآداب العالمية أي تحقق التأثير والتأثر بين الآداب، وفي ذلك بدعا بين العلوم كلها وبخاصة العلوم الإنسانية واللغوية. فقد سبقت الظواهر الفلكية مثلا وجود علم الفلك. والظواهر الاجتماعية والنفسية قديمة قدم الإنسان والجماعات الإنسانية على حين لم يظهر علم النفس والاجتماع إلا في العصور الحديثة، وبديهي أن ظواهر النحو والبلاغة تسبق علوم النحو واللغة في كل أمة.

وأقدم ظاهرة في تأثير أدب في أدب آخر وأعظمها نتائج في القديم ما أثر به الأدب اليوناني في الأدب الروماني، "ففي عام 146ق.م انهزمت اليونان أمام روما ولكنها ما لبثت أن جعلتها تابعة لها ثقافيا وأدبيا، وكثيرا ما يردد مؤرخو الفكر الإنساني أن روما مدينة لليونان في فلسفتها وفنها ونزعتها الإنسانية وأدبها كله. وفي هذا كله، كانت محاكاة الرومانيين لأدباء اليونان وكتابهم وفلاسفتهم ملحوظة من مؤرخي الأدب والفكر حتى من مؤرخي الرومان أنفسهم ولم يكن للأدب اللاتيني من أصالة تذكر"[1].

وإن كان من الممكن في نظر البعض "إدخالها إلى ميدان هذا العلم على أيدي الغربيين ومن ثم كان الرواد في هذا المجال يحسبون بوطأة هذه اليد ولا يفكرون في مقاومتها، فكانوا يرددون ما يقوله الغربيون على أساس أنهم أصحاب الفضل لا داعي

[1] محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار النهضة، ط1، 1983، ص 23.

للإنكار المجحف، وإن كنا نتفهم موقف الدكتور محمد غنيمي هلال لأنه جاء مبكرا فكان عليه أن يركز على نقل كل ما عند الغربيين حتى نكون على بينة منه، فإن الأمر يختلف مع مكي الذي أتى بعد أن أثبت الأمور كثيرا وخفت تلك اللهفة التي تصيب من يريد متابعة شيء جديد وأصبح هناك مقدار كبير من الدراسات والبحوث. لقد كتب الدكتور مكي كتابه في النصف الثاني من ثمانينيات ذلك القرن، أي أن هناك فاصلا بين الكتابين"[1].

وظهور الأدب المقارن أمر حديث، "ولكن الذي يهمنا هنا أنها أثمرت لدى النقاد اللاتينيين ما كان نواة نظرية "المحاكاة" في عصر النهضة الأوربية في معنى محاكاة اللاتينيين، وهذا معنى آخر للمحاكاة يغاير التي دعا إليها "أرسطو" حيث أراد أن يبين الصلة بين الفن بعامة وبين الطبيعة، فللشاعر عند نقاد الرومان أن يحاكي العباقرة الذين هم بدورهم قد حاكوا الطبيعة، فيقول هوراس في فن شعره "اتبعوا أمثلة الإغريق واعكفوا على دراستها نهارا"، هذا يعني أن محاكاة اليونانيين قد أنتجت ثمارا كثرة وهذا دليل على ألا تمحو أصلة الكاتب أو الشاعر... لهذه المحاكاة قواعد عامة أولاها أن المحاكاة للكاتب والشاعر مبدأ من مبادئ الفن لا غنى عنه وهو يقصد طبعا محاكاة اللاتينيين لليونان"[2].

وفي العصور الوسطى التي امتدت من عام (1395م–1453م) خضعت الآداب الأوربية المختلفة لعوامل مشتركة وحدت بعض اتجاهاتها ووثقت علاقاتها بعضها ببعض، وكان لهذا التوحيد في اتجاه الأدب مظهران عامان: أولهما ديني كان فيه رجال الدين هم المسيطرون فكان منهم القراء والكتاب معا وتغلغل الروح المسيحي في ذلك الإنتاج.

فقد كانت اللاتينية هي لغة العلم والأدب كما كانت هي لغة الكنيسة، وثانيها

[1] إبراهيم عوض: في الأدب المقارن مباحث واجتهادات.

[2] – المرجع نفسه.

كان في الفروسية التي وحدت ما بين كثير من الآداب الأوربية في تلك العصور.

فمن ظهور الأدب المقارن "يلاحظ روني إتيامبل كأبرز من يلخص وجهة نظر المدرسة الفرنسية أنه حيث يخرج علينا جوته بمصطلح الأدب العالمي (weltliteratur) وهو يشمل كلمة مركبة يمكن ترجمتها إلى الإنجليزية (world literature) وإلى الفرنسية (littérature universelle)، إلا أن الأدب العالمي الذي خصه الروس بمدرسة موسكو تحت إشراف ماكسيم غوركي لا ينطبق تماما على الأدب العام أو الأدب المقارن ويمكن أن تشير المدرسة الفرنسية حاليا لا إلى وطنية ولا إلى لغة كتابة بل إلى اتجاه عام بما فيها أمريكا. فهذه المدرسة تقترح أساسا صلبا لكل بحث جاد هو المدونة الجيدة، ولا شك أن الفضاء الاستراتيجي لفرنسا ساعد على أن يكون ملتقى تيارين من جهة كما أن التاريخ التوسعي لمستعمراتها أفرز الكثير من ردود الفعل، ومن جهة ثانية خدم موقع المدرسة من زاويتين هما الفضاء والتاريخ على عكس الدراسات الألمانية التي تميزت بروح نقدية، ويظهر أن فرنسا كانت مهيأة أكثر من غيرها"[1]. أي أن المنهج التاريخي هو أقدم المناهج الأوربية وتفوقت على المدرستين الأمريكية والسلافية ثقافيا فلا نستطيع إنكار هذا. ظهر هذا المنهج "مرتبطا بالنزعة القومية في القرن 19 على الرغم مما في أهدافه من مسحة عالمية واستكمل مفهومه المبدئي على يد نفر من منظريه (بالدنسبرجيه: الكلمة والشيء)"[2].

في العدد الأول من مجلة الأدب المقارن عام 1921 وفان تيجم في كتابه الأدب المقارن 1931 وجويار في كتابه الأدب المقارن الذي يمثل الكلمة الأخيرة في المنهج الفرنسي عند الجيل الأول، وخلاصة ما دعا إليه هؤلاء الرواد ومنهم كاريه، أن الأدب المقارن هو دراسة علاقات التأثر بين الأدب الفرنسي والآداب الأوربية الأخرى ودراسة الصلات بين الآداب القومية المختلفة دراسة تاريخية مؤيدة بالوثائق والمصادر،

---

[1] سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، المركز الثقافي العربي، ط1، 1987، ص 55.

[2] يوسف بكار وخليل الشيخ: الأدب المقارن، الشركة العربية، ط2، 2008، ص 80.

وهذا ما يطلق عليه بالتيار التقليدي أو التيار التاريخي في المنهج الفرنسي أي تيار الجيل الأول وهو جيل الرواد. ولكن نفر من أتباع المنهج أمثال روني إتيامبل وكلود بيشوا وأندريه روسو انتقد المنهج التاريخي. كما أن رينيه ويلك رفض حصر البحث المقارن في دراسة العلاقات الخارجية للأدب الفرنسي في الآداب الأوربية ودراسة الصلات بين الآداب القومية الأخرى بشرط اختلاف اللغة ووجود صلات تاريخية تدعم التأثر والتأثير مباشرا كان أم غير مباشر[1].

وبالنسبة للمنهج الأمريكي "يعود تاريخ الأدب المقارن في أمريكا إلى الثلث الأخير من القرن الماضي، غير أن الدعوة إلى العالمية تسربت إلى الجامعات وتجاوزتها إلى النوادي الأدبية. فقد كان في أضعف الأحوال تيارات مهدت له وتصب في النبع الذي يؤدي إليه وكان وراء هذه اليقظة جماعة أدبية شهيرة ومجموعة من الكتاب والأدباء والمفكرين. ففي العقد الرابع استيقظت و.م.أ على صوت أرسون (1803م–1882م) يدعو إلى ربط الآداب الأوربية بعضها البعض الآخر بما فيها الأدب الأمريكي، وكان أرسون كاتبا وفيلسوفا يعيش زاهدا"[2].

تعود البداية الفعلية للمنهج الأمريكي إلى عام 1958م حين ألقى الناقد الأمريكي المعروف رينيه ويلك – أحد مؤلفي كتاب نظرية الأدب– محاضرته الهجومية "أزمة الأدب القارن" في المؤتمر الثاني للرابطة العالمية للأدب المقارن التي انتقد فيها بشدة رؤوس الجيل الأول للمنهج الفرنسي في الأدب المقارن، لأن العمل الأدبي لا يمكن أن يختزل إلى بؤرة تجتمع فيها المؤشرات الخارجية أو إلى مصدر إشعاع التأثيرات تتجه نحو البلدان الخارجية، وهذا لا يعني أن نستغني عن الأدب المقارن وإنما أن نجمع المصادر والتأثيرات من أجل الوصول إلى الالتزام بأهداف البحث الأدبي لكي نستطيع أن نتماشى مع مفهوم مدرسة النقد الجديد في أمريكا وأوروبا.

---

[1] يوسف بكار وخليل الشيخ: المصدر نفسه، ص 81.

[2] الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، ط4، 1985، ص 96.

"يظل الهدف الأساسي للمقارنة لدى هاته المدرسة هو تجمع معارفنا الأدبية في تصنيف يراعي المقولات الجديدة، ومن الإدراك السابق تكامل الآداب الوطنية فيما بينها ينهي المقارن الفرنسي من ضرورة تركيز الجهود على تحليل الفضاءات والأفعال وردود الفعل يحسن المقارن الأمريكي بحوافز أخرى للعمل على إعادة تنظيم علمي لدراسة الأدب، وكذا يبنى موقف الأمريكيين في بناء المقارنة على أساس الاهتمام بدراسة الأدب في صلاته التي تتعدى حدود القومية. تعمل المدرسة الأمريكية على ملاحقة العلاقات المتشابهة بين الآداب وبين أنماط الفكر البشري معتمدة في ذلك على المزاوجة، ومن هنا كان مصطلح الأدب المقارن عند المدرسة الأمريكية هو دراسة أي ظاهرة أدبية، لهذا كانت وظيفة المقارنة الأدبية عند هنري ريماك هي التصدي للمقارنة بين أدب وأدب، آداب وآداب، وتصبح المقارنة عند هنري ريماك هي حرية التقاط نقاط الاتصال ذات الدلالة وتلاقي الأفكار لدى الدارسين الأمريكيين، إلا أنها تظل منار جدال وأخذ ورد بين المدرسة الأمريكية والفرنسية"[1].

ومن أهم خصائص المدرسة الأمريكية: "تفادي المآخذ التي أخذت على المنهج الفرنسي كما تجلت في مقال رينيه ويلك "أزمة الأدب المقارن"، ملاحقة العلاقات المتشابهة بين الآداب المختلفة وفقا لمفهوم التوازي أو التشابه أو القرابة وهو المصطلح الأمريكي"[2].

لقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين ميلاد المدرسة السلافية، أو ما يسمى بالمنهج الأوربي الشرقي أو الماركسي، لكن لماذا تأخر ظهور الأدب المقارن في الاتحاد السوفييتي إلى هذا التاريخ؟ "إن هذا النمط (العلم) كان محتقرا بل ممنوعا في المرحلة "الستالينية" كلها لأنه عد من العلوم البرجوازية التي يجب ألا تمارس في دولة اشتراكية، بيد أنه سمح بالأدب المقارن بعد إزالة الستار الحديدي بين أوربا الشرقية

---

[1] سعيد علوش: المصدر السابق، ص 95.

[2] يوسف بكار وخليل الشيخ: المرجع السابق، ص 83.

والعالم، وظهر مقارنون أكفياء. من تلك الدول نهضت مقارناتهم على دعائم المادية الديالكتية والمادية التاريخية، لأن الأيديولوجية الماركسية اللينينية ظلت عقيدة الدولة الرسمية بعد زوال "الستالينية" حتى بداية عهد جورباتشوف. لهذا يرى بعض الدارسين أن إطلاق اسم "المدرسة الماركسية" أو المادية الجدلية على هذا المنهج... أصح من المدرسة السلافية أو المنهج السلافي عند آخرين انطلاقا من الأيديوليجية وليس من الجغرافيا. يعد المقارن الروسي فكتور جيرومنسكي رائد هذا المنهج ومؤسسه"[1].

ينطلق المقارنون في هذا المنهج من الموضوعية الماركسية التي ترى أن الأدب جزء من البناء الفوقي للمجتمع وهو بناء إيديولوجي يقف إيزاءه بناء تحتي (اقتصادي اجتماعي وتربط الاثنين صلة تأثير متبادل يكون الدور الأكبر فيها للبناء التحتي وهنا تكمن المقارنة، إن ثمة مجتمعين متقاربين في التطور فإن لهذا علاقة تأثر وتأثير. معنى هذا أنه يجب البحث في هذه الحال عن خلفيات موضوعية على الرغم من تركيز هذا المنهج على الفلسفة الماركسية فإن ما يدرس وفقا له من أدب مقارن يتسم بقدر كبير من التنوع وتعدد الاتجاهات لأن قبضة الحزب قد خفت منذ الستينيات على الأدب والنقد الأدبي مما دعي بعض الباحثين إلى التساهل في إطلاق مصطلح منهج أو مدرسة على الأدب المقارن في أوربا الشرقية، فهذا المنهج ما يمتاز به من غيره في النظرية والتطبيق"[2].

---

[1] يوسف بكار وخليل الشيخ: المرجع السابق، ص 86.

[2] يوسف بكار وخليل الشيخ: المرجع السابق، ص 87.

1.2- نشأة الأدب المقارن عند العرب:

يسجل المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي في "عجائب الآثار في التراجم والخبار" بداية المواجهة بين المثقف العربي المسلم وبين الحضارة الغربية التي جاءت من خلال حملة نابليون إلى مصر غازية. وقد حرص الجبرتي على الوقوف على جانبي الصورة سواء في ميدان التقدم العلمي لهذه الحضارة أم في الأبعاد السلبية لها المتمثلة في وجهها العسكري المدمر. وقد حرص المفكرون من أمثال رفاعة الطهطاوي في "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، وأحمد فارس الشدياق في "كشف المخبا في فنون أوربا" على تسجيل الفجوة الحضارية بين الغرب وما وصل إليه الوطن العربي، كما سجلت تلك الكتابات موازنات بين خصائص الشعر الأوربي والشعر العربي"[1].

يمكن القول "إن العلوم المرتبطة بالأدب والتاريخ ذات أصول بعيدة، ويمكن أن يكون لها ماض عريق. وقد جرت العادة أن نعد الأدب المقارن علما حديث النشأة، ولكنه في الحقيقة لا يفتقد الماضي البعيد، ويمكن البحث عن أصوله حتى في التاريخ القديم. فمنذ أن وجد أدب وجدت الموازنة بين نصوصه، لتقييمها، أو لمجرد حب الاستطلاع، لأن الموازنة بين الألفاظ والمعاني، وبين المفردات والأساليب، مران على الفهم الصحيح، وتربية للحاسة الفنية... كما أنها تعتمد على القليل من الفروق في التراكيب والمعاني وقد لا تعرف لذلك سببا. حكى إسحاق الموصلي قال: سألني محمد الأمين عن شعرين متقاربين وقال: اختر إحدهما، فاخترت فقال: من أين فضلت هذا على هذا وهما متقاربين؟، فقلت: لو تفاوتا لأمكنني التبين، ولكنهما تقاربا ففاضلت بينهما بشيء تشهد به الطبيعة، ولا يعبر عنه اللسان. والطبيعة في كلام إسحاق هي ما نسميه الحاسة الفنية. وكانت الموازنات في العصر الجاهلي وحتى نهاية العصر الأموي ذات طابع جمالي بحت... فإذا أدركنا فجر النهضة العربية مع مطلع العصر العباسي، بدأ كل علم يستقل بمناهجه وغايته، فشاعت الموازنة"[2].

---

[1] محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص 14.

[2] الطاهر أحمد مكي: المرجع السابق، ص 9-11.

وأصبحت سبيلا مقررا للمفاضلة بين الشعراء حين يتنازع أهل الأدب واللغة، فوازنوا بين جرير والفرزدق ومن بعدهم بين مسلم بن الوليد وأبي العتاهية وأبي نواس أو بين أبي تمام والبحتري والمتنبي. فالموازنة بين أديب وأديب من أبناء اللغة الواحدة لا تدخل في دراسة الأدب المقارن، مثل الموازنة بين حافظ وأبي تمام والبحتري أو بين حافظ وشوقي، وكذلك الحال في الآداب الأخرى. وكذلك ما يتصل بالمقامات، فقد تأثر بمقامات بديع الزمان الهمداني ابن فارس الذي يرجع إليه الفضل في ابتكار هذا اللون من الكتابة، كما أن الحريري في مقاماته تأثر بمقامات بديع الزمان.

وكذلك قصص الحب في الأدب العربي كجميل بثينة وكثير عزة وليلى والمجنون، لا تصلح فيما بينها مادة للأدب المقارن لاشتراكهما في لغة واحدة، ولكن قصص هؤلاء العشاق العرب كقصة مجنون ليلى تصلح مادة للأدب المقارن إذا قورنت مع مثالاتها في الآداب الأخرى أو إذا تأثر بها شاعر في أمة أخرى"[1].

وهناك التأثر التأويلي كتأثر "صوفية الفرس المسلمين بالقرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن ولكن بعد تأويلها كثيرا حيث أدخلوا في مفهومها كثيرا من فلسفة أفلاطون وأفلوطين كما أضافوا إليها كثيرا من مبادئ التصوف من الهند وإيران القديمة، أي بعد إخضاعها لآرائهم، ومع ذلك فهم يعتبرون متأثرين بالقرآن والحديث النبوي الشريف عن طريق التأويل"[2].

كما عرف الأقدمون "ضروب الموازنة بين كتاب الإغريق واللاتينيين، وكانت القرون الوسطى مليئة بالتأثيرات المتبادلة بين آداب الغرب المسيحي الناشئة. فإن هذه الاتصالات (وهي تؤلف اليوم ميدانا واسعا للمتخصصين بالآداب الرومانية والجرمانية) لم تكن موضوع دراسة في ذلك الزمان ولئن كانت الآداب الحديثة إبان النهضة"[3].

---

[1] طه ندا: الأدب المقارن، دار النهضة، ط1، بيروت 1973، ص 23.

[2] محمد غنيمي هلال: المرجع السابق، ص 105.

[3] سعيد علوش: المرجع السابق، ص 70.

أخذت المصطلحات في العصر الكلاسيكي جميعا عن الإغريق والرومان، فالمؤرخون والنقاد كانوا يقتصرون على ذكر القياسات، فما تعدو المقارنة أن تكون اكتشافا في السرقات الأدبية أو تقرير الأحكام حتى حين دخلت الآداب الحديثة إلى حلبة النقد، فقارن بوال بين جوكوند ولافونتين وعابت دي اسكودري على كورناي نقله مسرحية "السيد" الإسبانية. ولم نر إلى هنا شيئا موضوعيا ولا تاريخيا، وأما فولتير وغيره، فقد فتعرضوا لآدب أمم أخرى بالنقد والموازنة، ولكن نقدهم لم يقصد إلى بيان أصول الأجناس الأدبية من الناحية التاريخية ولم يرم إلى شرح التأثير والتأثر من الوجهة العلمية.

يرى الجاحظ (ت 255هـ-869م) أن المعاني المطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والكردي والبدوي، وذلك من خلال كتابه "الحيوان"[1].

حيث يذكر خبر عميق الدلالة على قد الهجرات من بلاد الفرس إلى بلاد العرب، وعلى ما كان لها من أثر في معرفة أهل المدن العربية من ألفاظ الفرس وإدخالها في لغتهم. يقول الجاحظ: "ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم، ولذلك يسمون البطيخ الخربز ويسمون السميط الروذق ويسمون المصوص المزور ويسمون اشرنجا الإشترنج، وكذا أهل الكوفة فإنهم يسمون المسماة بال، وبال بالفارسية، وإذا نزلوا بأدنى بلاد النبط وأقصى بلاد العرب يسمي أهل الكوفة الحوك (البقلة الحمقاء أو الرحلة) ياذروج، والياذروج بالفارسية والحوك كلمة عربية. وأهل البصرة إذا التقت أربعة طرق يسمونها مربعة ويسميها أهل الكوفة الجهارسو والجهارسو بالفارسية، ويسمون القثاء خيارا، والخيار فارسية، ويسمون المجزوم ويدي، ويدي بالفرسية"[2].

وقد تكون هذه الألفاظ اللغوية المقتبسة أساسا لأمثال عربية أو معان أدبية أو

---

[1] محمد غنيمي هلال: المرجع السابق، ص 105.

[2] محمد غنيمي هلال: المرجع السابق، ص 109.

عقد مشابهات تصويرية. يقول الجاحظ: "وزعموا أن الزرافة خلق مركب من بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية وبين الذيخ وهو ذكر الضبع،... والفرس يسمون الأشياء بالاشتقاقات... ثم يقول في موضع آخر: يضربون بالنعامة المثل بالرجل إذا كان ممن يغتل في شيء يكلفونه بعلة، وإن اختلف التكليف وهو في قولهم: إنما أنت نعامة، وإذا قال لها احملي قالت أنا طائر وإذا قيل لها طيري قالت أنا بعير". ولا شك أن بناء هذا المثل على معنى الاسم الاشتقاقي عند الفرس كما يؤخذ من كلام الجاحظ في الموضوعين، كما بلغ من معرفة العرب للغة الفرس في الفترة التي لم تكن لغتهم فيها قد ارتقت إلى مرتبة أدبية بعد الفتح... إن شعراء العرب كانوا يلحمون بألفاظ من الكلام الفارسي في أشعارهم وذلك كما في قول العماني الرشيد في أرجوزته التي مدحه فيها على حسب ما ذكره الجاحظ:

من يلقه من بطل مسرندي في زعفة محكمة بالسرد

يحول بين رأسه و"الكرد"

ومنها:

لما هو بين غياض الأسد وصار في كف الحزبر الورد

إلى يذوق الدهر "أب سرد"[1]

ومن ذلك أيضا قول شاعر عربي آخر وفي شعره دلالة على شيء من لهجات إيران:

وولهني وقع الأسنة والقنا وكافر "كوبات" لها عجر قفد

بأيدي رجال، كلامي كلامهم[2]

يسومونني "مراد" وما أنا والمراد.

"والمعنى مستقيم على أن "مراد" بضم الميم هو إنسان وهي لهجة إيرانية في

---

[1] محمد غنيمي هلال: المرجع السابق، ص 106.

[2] المرجع نفسه، ص 107.

"مراد" بفتح الميم وفي نفس المعنى هذا إلى أن في دراسة ما استعاره العرب من الفرس من كلمات . منذ الجاهلية . ما يدل على سعة أفق العرب ومرونتهم وحرصهم على إغناء لغتهم بما يعوزها من كلمات مدنية وإدارية كان الفرس قد سبقوهم إلى معانيها مثل هذه الكلمات وزير، خراج ، بريد ، صولجان لا... وهي كلمات تتصل بالسياسة والإدارة، ثم مثل هذه الكلمات التي تدل على مظاهر المدنية في اللباس والطعام : الخوان الديباج، الخز، الاستبرق، الجلاب (ماء الورد أصله: كل أب والأبريق، والروذق، والفيروزج . فيروزه) . وطعام الفالوذج (بالورده) .

وقد تدل استعاره اللفظ على نوع العلاقة الدولية التي سادت بين أمتين فقد طبع الدين علاقات العرب الفاتحين بالإيرانيين المسودين فلما استعار هؤلاء من العرب كلمة (ملة) . وهي في اللغة العربية معناها الشريعة أو الدين . أصبح لها في لغة الفرس معنى الحكومة أو الشعب أو الأمة بوصف كل منها وحدة دينية، فيقال مثلا: (ملت إيران) أي الشعب أو الأمة الإيرانية وكذا كلمة (بسمل) وهى اختصار (بسم الله) صار معناها حين انتقلت إلى الفارسية: الحيوان المذبوح (بعد إطلاق اسم الله عليه للتذكية) ومنها أتى لفظ، سملكاه) لمكان الذبح أو المجزر و(بسمل كردن) بمعنى يذبح"[1].

نجد الجاحظ قد اعتمد على ملحوظاته ودقة نظراته في كتابه "الحيوان" وتجلت أصالته ويكون قد اهتدى لفكرة دراسة الحيوان من أرسطو، وكذلك في فن الصورة فعماده الأول فيها هو تتبعه الدقيق للواقع الحي من حوله واستقصاؤه للمسات المعبرة عن كامن النفوس مع تركيزها على جانب تصير به الشخصية على واقعيتها نمطا في صفته بارزة من الصفات حتى ولو كان قد تأثر فيها بالأقدمين". ونقطع مع ذلك بأن للقرآن الكريم تأثيرا في الجاحظ وفي خلق هذه الصورة الأخلاقية. ففيه تصوير لسمات متفرقة للمرائين والمنافقين في الدين على أن خلق صورة أخلاقية في معناها الفني الذي نتحدث عنه لم يكن له مجال في القرآن الكريم. ولم يقصر الجاحظ كتابا من كتبه على

---

[1] محمد غنيمي هلال: المرجع السابق، ص 108-109.

الصور الأخلاقية، ففي كتبه المختلفة صور متفرقة للبخلاء للنفاجين والجحافين والأدعياء يخلطها بالحكم ويستطرد فيها بالملح ويمزجها بخواطره واستشهاداته المختلفة. وقد حشد فيها كثيرا في كتاب البخلاء ويقصد بالبخلاء من الأغنياء، يقول الجاحظ: "وأهل المازج لا يعرفون بالبخل ولكنهم أسوء الناس حالا فتقديرهم – أي تقتيرهم – على قدر عيشهم. وإنما نحكي عن البخلاء الذين جمعوا بين البخل والسير وبين خصب البلاد وعيش أهل الجدب فإما من يضيق على نفسه لأنه لا يعرف إلا الضيق فليس سبيله سبيل القوم". نفهم من هذا القول أن الجاحظ يصور الشخصيات البخيلة التي تضن على نفسها برزقها وتفضل الشقوة على السعادة مع علمها أن وارثها أعدى لها من عدوها، كما يقول الجاحظ في مقدمة البخلاء على أنه لا يقصد من وراء ذلك فيما نعتقد إلى هجاء اجتماعي أو تمرد على نظم العصر ومواصلته. وكل ما يريده أن يطلعنا على الهنات التي خفيت على أصحاب الفطنة من البخلاء فتحللوا بفصيح المقال لآفة هم منه في عناء، يموهون بأنها فضيلة وهم أول من يرزحون تحت عبثها، ليدعنا نتعجب من حضور بديهتهم في غفلتهم ومن تأتيهم في حجتهم، على حمقهم وجهالتهم في مسلكهم وفي الشعور بواقعهم. وينص الجاحظ في مقدمة البخلاء كذلك على أن للقارئ في كتابه ثلاثة أشياء: (تبين حجة طريفة أو تعرف حيلة لطيفة، أو استفادة نادرة عجيبة، وأنت في ضحك منه إذا شئت، وفي لهو إذا مللت الجد).

ولعل الجاحظ مع ذلك، يقصد إلى التحرز من هذه الهنات بالوقوف عليها في أبرع صورها التي تخفى إلا على اللبيب وتموه على سواد الناس"[1].

ومن رواد الأدب المقارن ودراساتهم نذكر:

1- طه ندا: الأدب المقارن، 1972م.

2- محمد عبد السلام كفافي: في الأدب المقارن، 1971م.

3- ريمون طحان: الأدب المقارن والأدب العام، 1972م.

[1] محمد غنيمي هلال: في النقد التطبيقي المقارن، دار النهضة، ص 56-57.

4- عبد المطلب صالح: دراسات في الأدب والنقد المقارن، 1973م.

5- بديع محمد جمعة: دراسات في الأدب المقارن، 1978م.

6- مناف منصور: مدخل إلى الأدب المقارن، 1980م.

7- سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، 1987م.

8- الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، 1987م.

- في الأدب المقارن دراسات نظرية وتطبيقية.

9- حسام الخطيب: آفاق الأدب المقارن، 1992م.

10- عز الدين المناصرة: المثاقفة والنقد المقارن، 1996م.

11- عبده عبود: الأدب المقارن مشكلات وآفاق، 1996م.

12- محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، 1961م.

- دراسات أدبية مقارنة.

- دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر.

13- أحمد درويش: نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي، 2002م.

14- محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الأدب المقارن.

15- محمد التونجي: الآداب المقارنة.

16- يوسف بكار وخليل الشيخ: الأدب المقارن محاضرات.

17- حسام الخطيب: الأدب المقارن.

18- إبراهيم عوض: في الأدب المقارن مباحث واتجاهات.

19- رفعت زكي محمد عفيفي: بحوث في الأدب المقارن.

20- إبراهيم عبد الرحمن محمد: دراسات مقارنة.

21- عبد الجواد بكر: منهج البحث المقارن بحوث ودراسات.

22- صابر عبد الدايم: الأدب المقارن بين التراث والمعاصرة.

23- عبد الرزاق حميدة: في الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه.

24- عبد الدايم الشوا: الأدب المقارن.

25- محمد عبد الرحمن شعيب: في الأدب المقارن أصوله وتياراته.

26- صفاء خلوصي: دراسات في الأدب المقارن والمدارس الأدبية.

27- طلعت صبح السيد: الأدب المقارن.

28- أحمد كمال زكي: الأدب المقارن.

29- كاظم نجم عبد الله: في الأدب المقارن مقدمات للتطبيق.

30- عزة محمد سالم: دراسات أدبية مقارنة.

31- بدير حلمي: الأدب المقارن بحوث ودراسات.

32- فخري أبو السعود: في الأدب المقارن ومقالات أخرى.

33- ماجدة حمود: مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن

كتب الرواد الأجانب المترجمة:

34- ماريوس فرانسوا غويار: الأدب المقارن.

35- بول فان تيجم: الأدب المقارن.

36- كلود بيشوا وأندريه روسو: الأدب المقارن.

37- رينيه إتيامبل: أزمة الأدب المقارن.

38- دانيال: هنري باجو: الأدب العام والمقارن.

39- هنري غيفورد: الأدب المقارن.

40- رنيه وليك: مفاهيم نقدية.

كما يمكن التحدث أيضا عن الأدب المقارن في الجزائر، "وعندما نذكر الجزائر ويروق لنا أن نتحدث عنها لمناسبة ما، فهي تعني الثورة والتضحية، والجهاد، والنضال، والتضامن، والأخوة، والحرية والكرامة وبالتالي الفكر والإشعاع... والظروف الراهنة، التي نحاول فيها إعادة بناء شخصيتنا الوطنية التي تفرض علينا أن نهتم بتاريخ الثورات والبطولات التي عرفتها أرضنا المجيدة والحفاظ على ميزاتها والتمسك بأمجادها في عصر من العصور، في حين أن التاريخ لا يكتب نفسه بنفسه فهو انطواء وموت

بطيء وظلام، فلا بد من إحيائه من جديد بطريقة صحيحة وسليمة"[1].

ومن البحثين في الأدب المقارن، الدكتور عبد المجيد حنون الأستاذ بجامعة عنابة ورئيس الرابطة العربية للأدب المقارن الذي أغنى المكتبة العربية بمجموعة من الدراسات المتخصصة في الأدب المقارن التي لا تكاد تخلو من التدليل على التأثير المتبادل بين الآداب الفرنسية والأدب العربي.

ومن أعماله نذكر:

- محاضرة نظرية لتحديد مفهوم الأدب المقارن بعنوان "محاولة تحديد مفهوم الأدب المقارن"، 1984.
- السياق التاريخي والثقافي في نشأة النقد الجامعي عند العرب، حالة أحمد ضيف معتمدا على المنهج التاريخي الفرنسي في النقد الأدبي، 1990.
- المنهج التاريخي في دراسة الأدب العربي ونقده، 1995.
- أبو العيد دودو والأدب المقارن، 2004.

ومن الباحثين أيضا، نذكر الدكتور محمد عباسة وهو من مواليد 1955 ببلدية الصور (Bellevue) ، أستاذ الأدب المقارن بجامعة مستغانم، تحصل على شهادة الليسانس في اللغويات من جامعة وهران، وشهادة الماجستير في الأدب العربي المقارن من جامعة بغداد بالعراق، ودكتوراه الدولة في الأدب المقارن من الكلية المركزية بجامعة الجزائر العاصمة. صدر له مجموعة من البحوث والمقالات في الأدب الأندلسي المقارن والترجمة والتصوف الإسلامي باللغتين العربية والفرنسية في مجلات علمية بالجزائر والدول العربية وأوربا. أنشأ سنة 2004 مجلة "حوليات التراث" التي تصدر سنويا باللغة العربية والفرنسية والإنجليزية على شبكة الإنترنت.

ومن أعماله في حقل الدراسات المقارنة نذكر:

---

[1] أبو العيد دودو: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، الجزائر 1975، ص 5.

- ترجمة المعارف اليونانية، 1999.
- الحروب الصليبية والحب الكورتوازي، 1999.
- العلاقات الثقافية بين العرب والفرنجة خلال القرون الوسطى، 2000.
- نشأة الشعر الديني عند العرب وأثره في الآداب الأوربية، 2004.
- العلاقات الاجتماعية بين العرب والفرنجة وتأثيرها على الأدب والفكر، 2005.
- حب الآخر في الشعر الأندلسي والبروفنسي، 2005.
- الترجمة في العصور الوسطى، 2006.
- التصوف الإسلامي بين التأثر والتأثير، 2006.
- مصادر شعر التروبادور الغنائي، 2014.

أما المرحوم أبو العيد دودو، "فقد أراد أن يقدم للقارئ صورة واضحة عن الأدب المقارن ويقدم في الوقت نفسه الأسس المنهجية والنظرية. لقد حاول فوق ذلك لأن يعيد صياغة بنية الأدب المقارن انطلاقا من النصوص الاجتماعية ويصف ميادينه الجوهرية من مقارنة تكوينية ومقارنة نمطية ومقارنة احتفائية أو متصلة بالتلقي ثم يبحث عن الترجمة الدبية والتقسيمات المرحلية وتاريخ الأجناس الأدبية على أساس ما وصلت إليه الأجناس الأدبية.

ومن هنا يتضح أن أبا العيد دودو لم يقبل على تقديم هذا الكتاب للمتلقي العربي إلا أنه لامس تعبيرا في مجال التنظير، لهذا تسابقت مفاهيم الترجمة لنقلها إلى اللغة العربية للتعرف على مدارس الأدب المقارن، المدرسة الفرنسية والمدرسة الأمريكية والمدرسة الألمانية"[1].

وفي كتابه "الجزائر في مؤلفات الألمان، يقول دودو: "وفي سنة 1835 أصدر رومان هاوف بمشاركة إدوارد فيدرمان كتابا صغير الحجم، طبع في مدينة شتوتغارت، وضع له عنوان "الجزائر كما هي". ويتضمن الكتاب مجموعة من معلومات عامة، لا

[1] أبو العيد دودو: الأدب المقارن، مجلة اللغة والأدب العربي، 2003، ص 32.

تختلف عما نجده في بقية الكتب التي تحدثت عن الجزائر من الناحية الجغرافية والطبيعية والمعمارية وغير ذلك.

يرى هاوف أن الاستيلاء على الجزائر أهم حادثة في القرن الماضي، أي حتى الوقت الذي وضع فيه كتابه. فقد أرعبت الجزائر، على حد تعبيره، الشعوب التجارية واستبدت بالبحر الأبيض المتوسط، وأرغمت شارل الخامس على الفرار أمامها بصورة مخزية. ومع أن إنجلترا نفسها كانت سيدة البحار، فإنها لم تستطع أن تملي اتفاقياتها على الجزائر إلا بصورة مؤقتة. وكانت الجزائر قد أجبرت الشعوب خلال قرون عديدة على دفع أتاوة لها نظير مرور سفنها التجارية بالبحر البيض المتوسط. ثم كانت هذه الجزائر نفسها غنيمة للجيش الفرنسي، فاختفت اختفاء الظل. وتمكنت فرنسا من احتلال هذه المنطقة الجميلة بكل هدوء"[1].

[1] أبو العيد دودو: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، ص 25.

1.3- المقارنون العرب وموقفهم من مدارس الأدب المقارن:

"ومن خلال الإشارات التي جاء بها المقارنون العرب، فإننا سنقع أمام إشارتين دالتين لهم. الأولى صدرت عن المقارنين: الدكتور سعيد علوش، والدكتور عز الدين المناصرة، وقد جرى دعمها من طرف مقارنين آخرين أرّخوا لبدايات الأدب المقارن في المجال الثقافي والفكري العربي.

شدد المقارن الفلسطيني الدكتور عز الدين المناصرة على (أن محمد غنيمي هلال، هو أول من أدخل هذا الحقل المعرفي بمنهجه الفرنسي (الحديث آنذاك) إلى العالم العربي فهو (رائد المنهجية) وقد أثّر - كتاب محمد غنيمي هلال - على كل ما كُتب بالعربية في مجال الأدب المقارن في الخمسينيات والستينيات وعلى طريقة تدريسه في الجامعات العربية حتى في السبعينيات)، وفي كتابه الأخير (علم التناص والتلاص)، احتفظ الدكتور المناصرة بالتأكيد ذاته على ريادة الدكتور محمد غنيمي هلال، لعلم الأدب المقارن في المجال الثقافي والفكري العربي، بل إنه جعل منه صاحب مدرسة في الأدب المقارن على المستوى العربي، وهو يشير بذلك إلى تبني الدكتور هلال للمنهج التاريخي في دراساته المُقارنة، وهو منحى استقلّ به، وعُرف عنه. أما الدكتور سعيد علوش، فقد أسند إلى الدكتور محمد غنيمي هلال دور (أول مؤصل لهجرة المادة، ناقلاً بأمانة الآفاق الغربية التي وصل إليها الأدب المقارن، نظرية وتطبيقاً)"[1].

يقول غويار: "وكان الأدب المقارن يمها يبدو في بداياته، وعيا للكوزموبوليتية الأدبية، مع توق إلى دراسة هذه الأخيرة تاريخيا. وثمة تيار إنساني واحد يجمع الأدباء الأوربيين في عصر النهضة (بداية القرن السادس عشر الأوربي)، والقرن الثامن عشر هو عصر الفلسفة وأوربة الفرنسية. هذه الحقبات الثلاث الكوزموبوليتية، هي، دون

---

[1] الدكتور إبراهيم أنيس الكاسح: نظرية الأدب المقارن في كتابات المقارنين العرب (محمد غنيمي هلال- عز الدين المناصرة-سعيد علوش). https://www.raialyoum.com

تساو، حقبات وحدة لغوية، أو هي تبرز هيمنة لغة مفهومة أينما كان، ومحببة. فمع الرومنطيقية، وللمرة الأولى، نصادف ثبوتية الأصالة الوطنية، مع حجم العلاقات بين مختلف الآداب. من هنا نفهم كيف فيللمان، وأمبير وكينيه، الكوزموبوليتيون الكبار، هم أيضا أوائل المقارنين، إنما تلزمهم طريقة عمل. فهم سافروا وتحمسوا وحاضروا وقارنوا، لكنهم في الواقع قابلوا وزاوجوا معلومات من مختلف الآداب أكثر مما كتبوا تاريخها المقارن. وما إلا في نهاية القرن، حتى نشأ الأدب المقارن الذي أعلنوه وتصوروه، تيارا مستقلا ومنتظما"[1].

ومن المقارنين العرب الذين وقفوا وسطا بين المدرسة الفرنسية والمدرسة الأمريكية، ريمون طحان الذي يقول: "أخذنا بعين الاعتبار أهم الكتب والروائع والمؤلفات دون أن نمعن النظر في مؤلفيها فالمؤلفات بالطبع هي وسيلة ناجعة لمعرفة العلاقات الأدبية التي قامت بين الأمم والشعوب، ولكننا لا نستطيع أن نهمل دراسة تراجم حياة المؤلفين المشهورين والمغمورين الذين قاموا بدور فعال في عملية التأثير والتأثر. فإذا تكلمنا عن فولتير وهو من المشهورين وعن تأثره بإنكلترا فلا بد من دراسة الفترة من حياته التي قضاها فيها ودرجة معرفته للغة الإنكليزية (تلك المعرفة شبه السطحية التي تظهر من خلال بعض الرسائل التي كتبها بالإنكليزية) واختلاطه بأوساط إنكليزية معينة وتفسيره لخلق أهلها ولآدابهم وكيفية نقله صورتها إلى مواطنيه من المعاصرين له... إن (Montégut) و(Robinson) و(Klarke) و(Selden) هم من الوسطاء في الأدب أي من الأشخاص المغمورين الذين آلوا إلى أنفسهم أن يعرفوا بلدهم للآخرين أو أن ينشروا الثقافات الأجنبية على بني جنسهم...

فقد يعمل الوسيط منفردا وقد ينتمي إلى ندوات حيث يجد أعوانا له يعملون متكافلين متضامنين على تشجيع الآداب الأجنبية وقد روّجت بعض الندوات في فرنسا للأدبين الفرنسي والألماني ودعت لهما، وهنا يجب ألا ننسى ما لندوة مدام دي ستال

[1] ماريوس فرانسوا غويار: الأدب المقارن، منشورات عويدات، ط2، بيروت 1988، ص 10-12.

في قصر كوبيه (Château de Coppet) من فضل ما بين 1795م–1801م في تشجيع نفوذ التيار الألماني في فرنسا ودعمه والدعوة للتأثر به"[1].

وعن الوسطاء في الأدب يقول هلال: " قد يقيض الأدب من الآداب رجل أجنبي عنه يعرف به أمته ويكون داعية له فيهم وكثيرا ما تهيئ ظروف الهجرة والرحلات لذلك الداعية الوسيط القيام برسالته في تعريف قومه بالأدب الذى يدعو إليه ولابد أن يكون ذلك الوسيط ذا ثقافة واسعة وأسلوب قوى ليترك أثرا في قومه ولسنا نعنى بالدعاية أن يكيل له المدح بل نعنى بها أن يذيعه وينبه لأهميته وإن لم يخل كلامه فيه من نقد قد يكون لاذعا. وقد بين (فردينان بلدنسبرجيه) في كتابه (الحركة الفكرية في الهجرات الفرنسية): كيف غذى المهاجرون من الكتاب الفرنسيين الفكر والأدب في فرنسا فقد أدى اكتشاف المسرحية الألمانية إلى زلزلة العقلية الكلاسيكية التي كانت سائدة ف فرنسا قبل الهجرة وبفضل هذه الهجرات وجد كتاب (مدام ستال) الذى كان إنجيل الرومانتيكيين. وكان من ثمراتها كذلك كتاب (عبقرية المسيحية) وبعض صفحات (مذكرات ما وراء القبر) لشاتوبريان وتبع الهجرات السابقة تجدد في الروح الفكرية والسياسية كان مقدمة لما ساد القرن التاسع عشر من حركات"[2].

من المعلوم أن (فولتير) أقام في العاصمة الإنجليزية وضواحيها قرابة عامين من 1726–1728 وقد حاول فيهما درس اللغة الإنجليزية وشاهد بعض مسرحيات (شكسبير) ولكنه مع ذلك قد تأثر أول ما تأثر بمحادثته مع النقاد الإنجليز عن (شكسبير) وقد أعجب بشكسبير ولكنه نقده نقدا مرا فأخذ عليه جهله وانه لا يعرف اللاتينية كما أخذ عليه أنه بعيد في مسرحياته عن قواعد الذوق وعن وحدة الزمن والمكان وأنه يعرض على النظارة مناظر وحشية وهذا طابع كلاسيكي يعبر عنه (فولتير) ذو الذوق الكلاسيكي وهناك على سبيل المثال بضعة أسطر عن (شكسبير)

---

[1] ريمون طحان: الأدب المقارن والأدب العام، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت 1982، ص 48–49.

[2] محمد غنيمي هلال: المرجع السابق، ص 112.

من رسائل (فولتير) الفلسفية.

"شكسبير ذو عبقرية يفيض قوة وخصوبة وذو مواهب طبيعية بالغة السمو ولكنه ليس عنده مثقال ذرة من الذوق وهو جاهل كل الجهل بالقواعد وقد آن لأفكار ذلك المؤلف العظيم أن تكتسب بعد قرنين حقها في أن يعترف لها بالسمو والإبداع وتعلمون أن في مسرحية (عطيل) يغتال زوج امرأته على المسرح وتصيح المسكينة حين تهوى صريعة أنها اغتيلت ظلما وتعلمون كذلك أن حفاري القبور في رواية "هملت" (Hamlet) يحفرون وهم يشربون ويغنون لاهين برؤوس الموتى في سخرية ليست بغريبة من مثلهم في مهنتهم"[1].

أما مدام دي ستال فقد نشرت في كتابها "عن ألمانيا" عام 1814م، كثيرا من الأفكار الجديدة على قومها وكان مصدرها فيها هو الأدب الألماني وكان لهذه الأفكار تأثير أي تأثير في نشأة المذهب الرومانتيكي وفي الأدب الفرنسي كله ، ولنذكر لك بعضها على سبيل المثال (الفرنسيون أمهر الناس في ترتيب المعلومات وطريقة التأليف ولكن الكتب الأقل ترتيبا توحي بالمشاعر القوية) يجب أن نضرب عن "الوحدات الثلاث" صفحا إذ أنها عائق في سبيل المسرحية التاريخية والوطنية كما أنها أحد الموانع التي تضحى بالجوهر في سبيل الإبقاء على العرض.) المسرحيات التي ترمي إلى قوة الإحساس واحتدام العواطف خير من تلك التي ترمي إلى دراسة الطبائع وتحليلها، ولا تدعو "مدام دي ستال" في كل ذلك إلى تقليد المسرحيات الألمانية تقليدا ولكنها ترى أن لقاحا جديدا من تلك المسرحيات كفيل بأن ينفث في المسرح الفرنسي روحا جديدة"[2].

[1] المرجع نفسه، ص 113.

[2] المرجع نفسه، ص 114.

الفصل الثاني

منهج الدكتور محمد عباسة في الدراسات المقارنة

1.2 ثقافة الباحث:

الدكتور محمد عباسة Mohamed Abbassa من مواليد 1955، بلدية الصور (ولاية مستغانم). أستاذ الأدب المقارن بقسم الأدب العربي، جامعة مستغانم.

تحصل على شهادة ليسانس في الأدب، الشعبة اللغوية، جامعة السانية، وهران 1980. والماجستير في الأدب المقارن جامعة بغداد، العراق سنة 1984، والدكتوراه الدولة في الأدب المقارن، جامعة الجزائر سنة 1996.

كانت له دورات التدريبية خارج الوطن شهادة في تعليمية اللغة والإعلام الآلي من جامعة غرونبل، فرنسا سنة 1993، وشهادة في تعليمية اللغات الأجنبية من جامعة سارجي، باريس سنة 2000، من نشاطاته له مقالات في الأدب المقارن والأدب والترجمة والتصوف، منشورة باللغة الوطنية والفرنسية بالجزائر والدول العربية والأوروبية، وكتاب الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروي دور مستغانم 2012، ومن نشاطاته العلمية والبيداغوجية مدير مجلة- حوليات التراث- باللغات العربية والفرنسية والانجليزية ذات الوصول الحر إلكترونية، تأسست سنة 2004، مدير مركز التعليم المكثف للغات ومعهد اللغات الأجنبية من سنة 1988 إلى سنة 1998.

له عدة مقالات: المقالات المنشورة باللغة الوطنية:

1. "ترجمة المعارف اليونانية": مقال منشور في مجلة الأدب البيروتية، عدد 7/6، سنة 1999.
2. "الحروب الصليبية والحب الكورتوازي": مقال منشور في مجلة إنسانيات، عدد 9، سبتمبر – ديسمبر 1999، وهران.
3. "العلاقات الثقافية بين العرب والفرنجة خلال القرون الوسطى": مقال منشور بمجلة العلوم الإنسانية، عدد 14، ديسمبر، جامعة 2000، جامعة منتوري، قسنطينة.

4. "اللهجات في الموشحات والأزجال الأندلسية": مقال منشور في مجلة إنسانيات، عدد 17-18 مايو- ديسمبر 2002، وهران.
5. "فلسفة ابن رشد بين المتكلمين والتجريبيين": مقال منشور في مجلة الاختلاف، العدد 3، مايو 2003، الجزائر العاصمة.
6. "نشأة الشعر الديني عند العرب وأثره في الآداب والأدبية": مقال منشور في مجلة حوليات التراث بجامعة مستغانم، العدد الأول، سنة 2004.
7. "العلاقات الاجتماعية بين العرب والفرنجة وتأثيرها على الأدب والفكر": مقال منشور في مجلة حوليات التراث بجامعة مستغانم، عدد 3، سنة 2005.
8. "حب الآخر في الشعر الأندلسي والبروفنسي": مقال منشور في مجلة حوليات التراث بجامعة مستغانم، العدد 4، سنة 2005.
9. "الترجمة في العصور الوسطى": مقال منشور في مجلة حوليات التراث، عدد 5، سنة 2006.
10. "التصوف الإسلامي بين التأثر والتأثير": مقال منشور في مجلة التراث العربي بدمشق، سوريا، عدد 102، نيسان 2006.
11. "مصادر الشعر التروبادور الغنائي": مقال منشور في مجلة حوليات التراث، عدد 14، سنة 2014.

المقالات المنشورة باللغة الأجنبية:

1. "Traduction des connaissances Arabes en Europe": مقال منشور في مجلة "Comparaison"، عدد 13، نوفمبر 2002، جامعة أثينا، اليونان.
2. "Origine de la poésie lyrique occitane": مقال منشور في مجلة " Atelier de la traduction"، عدد 3، جوان 2005، جامعة سوسيق، رومانيا.

2.2 منهج الباحث بين مدارس الأدب المقارن:

« يتبع الدكتور محمد عباسة المنهج التاريخي للمدرسة الفرنسية فيما يخص الأثر والتأثير والصلات الأدبية، حيث يرى أنّ الفرنسيين كان لهم دور بارز ومركزي في هذا المجال وأنّ زيادة فرنسا للأدب المقارن معترف بها تاريخيا ولا يكاد ينكرها أحد لأنّها كانت متفوقة ثقافيا على غيرها من الدول الأوروبية في القرن التاسع عشر، ويقول تيجم في حديثه عن جهد الباحث المقارن وعن مسألة التأثر: "فمن النادر في الواقع أن يكون أثر من الآثار الفكرية فريدا من نوعه معزولا عن غيره فما من لوحة أو تمثال أو كن أو كتاب إلاّ ويدخل في زمرة من الزمر شعر المؤلف بذلك أم لم يشعر، وعلى التأريخ الأدبي أن يضعه في موضعه من أنواع الأدب وصور الفن ثمّ يزين أصالته بقياس ما ورث عن غيره وما أورث غيره"»[1]، « كما نجد تأثر بالعلاقات الثقافية بين العرب والفرنجة خلال القرون، حيث تعد العلاقات الثقافية بين الشعوب من العوامل التي تؤدي إلى التأثير والتأثر في شتى الميادين الفكرية والثقافية، وكان الاتصال الأوروبيين بالعرب في المشرق والأندلس أثره البالغ في تطور الفكر في أوروبا، وأهم ما تأثر به الأوروبيون منذ بداية القرن الثاني عشر الميلادي هو الشعر الغربي، لقد نظم شعراء التروبا دور في جنوب فرنسا، في العصور الوسطى شعرا مقطعيا، غنائيا يتحدث عن العفة والمجاملة وتمجيد المرأة لأول مرة في أوروبا، وقد تأثر كذلك بالموشحات والأزجال الأندلسية غير أنّ تأثرهم لم يكن بواسطة الترجمة ».[2]

وإنّما العرب هم الذين كانوا ينظمون الجزء الأخير من موشحاتهم ويسمونه بالجزية « كما أنّه تأثر بالشعر الديني عند العرب وأثره في الآداب الأوربية، نجد التأثير الهندي الذي يمثل الجنود إلى حياة التقشف والزهد واحتقار الذات الجسدية، أما التأثير اليوناني وعلى وجه الخصوص كتب أرسطو وأفلاطون التي لا تخطو من التصوف لقد تأثر المتصوف العرب بمذهب أفلاطون في النفس كما تأثر بأرسطو طاليس في مفهومه لطبيعة الخالق وعلاقاته بالمخلوقات، أمّا المسيحية تأثرت بنظام الرهينة في تعذيب البدن والامتناع عن

[1]- غويار: الأدب المقارن، (د.ط)، ص 81.

[2]- محمد عباسة: العلاقات الثقافية بين العرب والفرنجة خلال القرون الوسطى، مجلة حوليات التراث، مستغانم، العدد 13، 2013، ص 08.

الزواج، كما تأثروا متصوفة الإسلام بمفهوم الحلولية عند المسيحيين، الذّي يعتقد أنّ المسيح هو عقل تجلى في شخص عيسى الإنسان »[1].

« كما نجده أيضا تحدث عن تأثر رامول لول بالغزالي في نبذ الفلسفة العقلانية حيث لا يرى للعقل دورا في حب الله ومعرفة الحقيقة إلى الإيمان، كما تأثر بأسماء الله الحسنى بابن عربي الذّي تحدث عنها في ختام كتابه "الفتوحات المكية" ولكن في هذه الحالة لا نجد أنّ التأثر عامل سلبي، فهو يتحقق بفضل المطالعة والمثاقفة على الآخر، وليس من علم وفن لا يتطور إلاّ بالاحتكاك والتأثر».[2]

من هذه الزاوية يجد أن الأدب المقارن الذّي مارسته المدرسة الفرنسية التقليدية في صورة دراسات التأثير مفيدا، واندفاعهم في الذود عن أصالته وتفرده وخصوصيته وعبقريته.

« كما أنّه يعتمد على دراسة الصلات بين الأدب القومية المختلفة دراسة تاريخية مؤيدة بالوثائق والمصادر، فهي تقوم بتقريب الأدب والمعرفة بطريقة منهجية عن طريق البحث عن روابط التشابه والقرابة والتأثير، أو تقريب الأحداث والنصوص الأدبية فيما بينها سواء كانت متباعدة أو متقاربة في الزمان أو في المكان ».[3]

« فالمدرسة الفرنسية تهتم بتاريخ الأفكار والبنيات الأدبية وما أسماه ويليك وارين "بالمدخل العرفي" مدخل مقارن بالمفهوم الواسع في حقيقة الأمر، أمّا "المدخل الجوهري" فهو ذلك الذّي يصنف في إطار فلسفة الأدب، أي أنّ الدرس مفيد للتراجيديا، فالتاريخ الأدبي يهدف إلى إثبات الوقائع المكتملة عن طريق القراءة المستقصية ».[4]

« فمن هنا يمكن القول دراسات التأثير والتأثر أفرزت إيجابية كبيرة، فلو لم تكن دراسات التأثر والتأثير لما رأينا مثلا الناقد رينه ويلك يتحدث في هذا المجال ويقدم رؤى

---

[1]- محمد عباسة: نشأة الشعر الديني عند العرب وأثره في الآداب الأوروبية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الأول، سنة 2004، ص 13.

[2]- المرجع نفسه: ص 15.

[3]- بكار يوسف: المرج السابق، ص 81.

[4]- سعيد علوش: المرجع السابق، ص 66.

جديدة وأحيانا كثيرة تؤدي به إلى الانقلاب والتخلي عنه فعلى سبيل المثال النظريات النقدية التي كانت سائدة في أوائل القرن الماضي قد رفضت بنظريات حديثة كالأسلوبية والتلقي وغيرها. يقول محمد غنيمي هلال: " إنّه لا يعد من الأدب المقارن في شيء ما يعقد من موازنات بين كتاب من آداب مختلفة لم تقم بينهم صلات تاريخية حتى يؤثر أحدهم في الآخر نوعا من التأثير أو يتأثر به" ».[1]

« ولكن صحيح أنّ الدكتور محمد عباسة اتبع المدرسة الفرنسية أو المنهج التاريخي في حين أنّه لا يتفق مع المدرسة التاريخية حول تصنيف الآداب إلى كبرى وصغرى. لقد نضج الوعي الأدبي لدى كبار الكتاب العالميين، ولدى تابعي كتابنا المحدثين، فهم يعتدون بتراث الأدب الماضي العالمي، ويفيدون منه ما استطاعوا في حدود الأصالة.

وأصبح هذا الوعي موضوع دراسة النقاد والكتاب وصارت هذه الدراسة منهجية في علم الأدب المقارن الحديث، ونضرب مثلا بواحد من كبار النقاد العالميين هو إليوت حين يدرس ما أسماه "التقاليد والموهبة الفردية"، والتقاليد كما يفهمها بسيل تغذية لمواهبه، ومعنى التقاليد عنده اعتداد الكاتب بالتراث الأدبي العالمي، وهو ما يتجلى فيه أن الأقدمين من نوابغ الأسلاف لم يموتوا، فعلى الكاتب أن يكون على وعي بأنّ الآداب الأوروبية منذ هوميروس- لما فيها من أدب بلد الكاتب تؤلف وحدة حية لأجزائها، فيجب أن يقاس كل إنتاج أدبي حديث بالنسبة إلى تراث الماضي كلّه، وإنتاج كبار الكاتب في كل أدب قومي قائم على الوعي التاريخي بكل ما استطاع الكاتب أن يغذي به أصالته كي ينتج جديدا يعتد به. بحيث يكون تقويمه الصحيح فهمه حق الفهم من الأمور التي لابدّ فيها من الرجوع إلى مصادره: أي صلته بالأسلاف وكبار الموتى من الشعراء والفنانين وجوهر هذه الفكرة قد أخذت "إليوت" كبير النقاد والرمز بين الفرنسيين لا وجود في الطبيعة لجيل تلقائي، والأصالة المطلقة ليس إلاّ من إدراك الجهل، على أنّها ضد قوانين الطبيعة. مستحيلة لا يمكن فهمها، قامت الدراسات المقارنة الحديثة والمجددين، أنّ التأثر بالكتاب، والآداب لا

[1]- موقع الانترنيت: المرجع السابق، ص 35.

يمحو الأصالة، ولقد لاحظ ذلك كبار الكتاب والمجددين منذ ازدهر الأدب اللاتيني على أثر اتصاله بالأدب وتأثره تأثرا محمودا حصبا ».[1]

« ويقول بول والري: " لا يوجد شيء أكثر ابتكارا ولا أشد من شخصية من أن يتغذى الإنسان من الآخرين ولكن ينبغي هضم هذا الغذاء ".

أي أنّ بول يعد هذا الكلام ابتكار، فبعد أن يتأثر الكاتب لابدّ أن يكون له أسلوبه وطريقته ولمسته الخاصة التّي يطبع أعماله بها، فإذا كانت عملية التأثر كلية فهذا مقلد أعمى، فمن هنا يقول تيجم: " على أنّ الكتاب قسمان صغار وكبار، أمّا الصغار فإنّهم يبلغون في تقليدهم حد النقل والنسخ وأمّا العظام فإنّهم إذا أساقوا مع تيار التقليد في حين لا يلوثون أن يعودوا إلى أنفسهم ويستردوا أصالتهم وحتى حين يقلدون فإنّك ترى الأصالة في تقليدهم أثرا "، ومن هنا نجد محمد عنيمي هلال يتكلم عن التأثر العكسي فيقول عن أحمد شوقي عندما كتب مسرحية كيليوبترا: " فما راق له ما كتبه شكسبير عنها فكتب شوقي بشكل مغاير ومختلف كما كتبه شكسبير " ».[2]

« فالدكتور عباسة يجد أحد الباحثين الفرنسيين إلى أن بعض البارون الأوكيستانيين، ومن بينهم غيوم التاسع **(التروبادور الأول)**، وهو لا يزال صغيرا ذلك أن قصور الأوكيستانيين لم تخل هي أيضا من الجواري كاللائي كان يبيعهنّ ابن الكتاني، أو من الأسيرات المسلمات اللائي كان يتقاسمهنّ أمراء الإفرنج والمحاربون بعد عودتهم من اسبانيا ».[3]

« ويرى جيفورد فكرة جيته ويعرضها في شكل جديد تتجمع فيه الآداب الصغرى في مجموعة أدبية أو وحدة أدبية كبيرة تضمها كلّها، وهو يرى أنّ الأدبين الانجليزي والأمريكي بما لهما من الصلات يصلحان لأن يتخذا نواة للفكر، بأن يتحدا فيما بينهما

---

[1]- محمد عتيمي هلال: دور الأدب المقارن، دار النهضة، ط1، (د.ت)، ص 06.
[2]- موقع الانترنيت: إبراهيم عوض: المرجع السابق.
[3]- محمد عباسة: العلاقات الاجتماعية بين العرب والفرنجة وتأثيرها على الأدب والفكر، مجلة حوليات التراث، مستغانم، العدد 03، 2005، ص 10.

ويكونا أدبا موحدا للناطقين باللغة الانجليزية تضم إليه كل الآداب الصغيرة الّتي تتخذ الانجليزية لغة لها، وبهذا تنشأ وحدة أدبية كبيرة تضم كل الآداب التي تكتب بالانجليزية ».[1]

« كما لا يرى عباسة مانعا في المقارنة بين آداب مختلفة إذا كانت باللغة نفسها، لأنّ اختلاف اللغات شرط لقيام الدراسة الأدبية المقارنة كموازنة بين أديب وأديب من أنباء اللغة الواحدة مثلا، وكذلك الحال بين الأدباء في أي لغة من اللغات، مادامت اللغة التي يكتبون بها لغة مشتركة واحدة، مثلا: هناك مقامات بديع الزمان الهمذاني التي تأثر فيها بابن فارس وهذا الفضل يرجع إلى ابتكار هذا النوع من الكتابة، كما نجد الحريري في مقاماته تأثر بمقامات بديع الزمان إلى الحريري إلاّ أنّ دراسة هذا التأثير لا يدخل في دائرة الأدب المقارن لوحدة اللغة التي كتبت بها هذه المقامات ولكن إذا تجاوز الأدب العربي إلى الأدب الفارسي وجد هناك مقامات حميدي، وتأثر فيها مؤلفها بمقامات الحمداني والحريري، ومن اختلاف اللغة يمكن أن يقوم الدرس الأدبي المقارن بين مقامات حميدي الفارسية والمقامات العربية.

وكذلك قصص الحب في الأدبي كجميل وبثينة وليلى ومجنون لا تصلح فيما بينهما مادة للأدب المقارن لاشتراكهما في لغة واحدة ولكن قصص هؤلاء العشاق كقصة مجنون ليلى تصلح مادة للأدب المقارن إذا قورنت مع مثيلاتها في الآداب الأخرى أو إذا تأثر بها شاعر في أمة أخرى ونظمها بلغته القومية ».[2]

« وأن ندرس أيضا تأثيرا الأدب القديم اليوناني أو اللاتيني في أدب كتاب عصر النهضة وشعرائهم، بناءا على محاكاة الأقدمين، هذه الدراسات تعد من صميم الأدب المقارن، على حين تعد الموازنات الأولى من نطاق الأدب القومي البحث، وبدلنا مجرد سرد الأمثلة السابقة على فضل الدراسات المقارنة على الموازنات بصفة عامة ».[3]

« يعارض الباحث المركزية الأوروبية الاستعمارية وحتى الأمريكية وطريقة تصنيفها للأجناس الأدبية، نجد بعض شعوب آسيا وإفريقيا تتخذ اللغة الانجليزية أو الفرنسية لغة

[1]- طه ندا: المرجع السابق، ص 29.
[2]- محمد عتيمي هلال: الأدب المقارن، المرجع السابق، ص 16.
[3]- المرجع نفسه، ص 17.

أدبية لها، وأداة تفاهم العلاقات، وهذه نتيجة من نتائج الاستعمار في صورة من صوره الثقافية، أمّا في مصر حدث ما شابه ذلك، ولكن لأسباب لا تمت بصلة من الاستعمار المباشر، ففي الوقت الذّي كان الاستعمار البريطاني يعم بلادنا، حاملا معه اللغة الانجليزية وآدابها، لم ينجح في ثقافته على عامة الشعب، فقد شاءت الظروف التاريخية أن تكون اللغة الفرنسية هي لغة التخاطب الرسمي، ولغة التجارة التي كان يقوم بها في أغلب الأحيان أفراد من الأقليات التي كانت هي أيضا تستعمل الفرنسية كلغة مشتركة في معاملاتها، فاليهود الوافدون من مستعمرات فرنسا في المغرب العربي كانوا متمتعين بالجنسية الفرنسية، ثمّ أنّ فرنسا وباريس والثقافة الفرنسية كانت بالنسبة لرواد الحركة القومية في مصر بمثابة رموز لمبادئ حرية الشعوب والديمقراطية والثورية، حين قال عدو عدوي لابدّ أن يكون صديقا لي، وبالتالي فالاستعمار الفرنسي لابدّ أن يكون صديقا لضحية الاستعمار البريطاني، فقد ظهر أدب فرنسي الذي كتبه المصريون لفرنسا على منافسة انجلترا، ولكن القليل من المصريين قد أثروا الثقافة الانجليزية وأنّهم عملوا على نقلها إلى لغتهم العربية ».[1]

« ولكن تعرض فولتير إذ نقول: أنّه وآخرين قد اتبعت آفاقهم في نقدهم الأدبي، فعرضوا آداب أخرى بالنقد، إذ نقدهم لهم يقصد بيان الأجناس الأدبية من الناحية التاريخية ولم يشرح التأثير والتأثر، ولم يعبأ بالدراسات والعوامل المختلفة، فلم يكن نقدهم إلاّ للحكم على كاتب أو على عمله حكما مبنيا على القواعد الأدبية ».[2]

« فمن أوجه الاختلاف بين المدرسة الفرنسية وجهود عباسة نجد المدرسة الفرنسية أنّها تقول لا تجوز المقارنة كتبت بلغة واحدة. أمّا عباسة يقول تجوز المقارنة بين أدبين كتب بلغة واحدة إذا كان الأديبين الثاني من أمة أخرى مثال: محمد ديب، فيكتور هيغو.

ويجب أن تتوفر الصلة التاريخية بين العملين الأدبين في المدرسة الفرنسية، في حين عباسة يقول هذا الشرط ليس ضروريا لأنّ هناك صلة بين أدبين مختلفين موعزة في القدم، لا يمكن الكشف عنها ولهذا من الضروري المقارنة بين هذين العملين حتى وإن لم نلتمس بينهم صلة تاريخية، فالمدرسة الفرنسية تشترط الصلات التاريخية التي أقرته المدرسة

[1]- مجدي وهبة: الأدب المقارن، دار لونجمان، ط 1، 1991، ص 11.
[2]- محمد عتيمي هلال: المرجع السابق، ص 31.

الفرنسية لم يبق له معنى اليوم عند ظهور عالم الانترنيت. وأمّا الثاني يرى بأنّنا نتفق مع المدرسة الفرنسية فيما يخص التأثير والتأثر، لكن ليس القصد منه إظهار تفوق أمة عن أمة أخرى، كما أنّ المدرسة الفرنسية تعتمد على الأدب ما بعد النهضة وهذا تجنب للتأثيرات الخارجية في الأدب الفرنسي التي سبقت النهضة، كما أنّه يقول أنّ الأدب القديم خاصة أدب العصور الوسطى ولا أرى التأثر عيب وإنّما هو المطالعة والإفادة من الآخر.

فالمدرسة الفرنسية تهتم بدراسة التاريخ إذ يرى هذا الشرط لا يخدم المدرسة المقارنة بل ينبغي ألا تبالغ في دراسة الصلات التاريخية لأنّ الهدف من مغرى لأدب المقارن، إذ نجد المدرسة الفرنسية والأمريكية تحددان الأجناس الأدبية وفق تطوراتها أو الأدب الأوروبي مثل: تحدث عن روائع هندية أو أوروبية، أمّا بالنسبة لأوجه التشابه نجد كل من المدرسة الفرنسية وجهود عباسة تحدث عن المنهج التاريخي فيما يخص الأثر والتأثير والصلات الأدبية بين الآداب الفرنسي والآداب الأوروبية الأخرى، والتركيز على منهج الدراسة في التاريخ الأدبي بدلا من النقد الأدبي، فالأدب المقارن لديهم يدرس العلاقات التاريخية بين الآداب القومية المختلفة ».

3 .3 مساهمة الباحث في تكوين المدرسة العربية:

« ساهم الباحث عباسة في دراسة المصادر العربية القديمة، إذ نجده تحدث عن أعمال ابن رشد الفلسفية التي كانت ضمن برامج التدريس، وفي القرن الثالث عشر، كانت جميع المصادر أو الكتب هذا الفيلسوف الأندلسي قد ترجمت إلى اللغة اللاتينية في أوروبا، ورغم عدائها استمرت الفلسفة الرشدية في الغرب لعدة قرون، وكان ابن رشد تعرض لنفي بسبب آرائه الفلسفية، كما نجد الأوروبيون فقد اختلفت نواياهم عندما ترجم كتب المسلمين واختلاف طبقاتهم، فالكنسيون كانوا يترجمون الكتب الإسلامية للرد على المسلمين ومجادلتهم، ولكن بعض الطلاب كانوا يهدفون من أجل شغفهم بعلوم العرب المسلمين ونشرها في أوروبا.

فعملت الكنيسة في القرون الوسطى على محاربة الفلسفة ومنع الانشغال بعلوم العرب لأنها نوعا من الكفر، وقد حرص بعض المترجمين الأوروبيين على عدم ذكر أسماء

المؤلفين بسبب الكره للعرب والمسلمين، فمنهم من وضع اسمه بدلا من اسم المؤلف أو أبقى على الكتاب المترجم مجهولا ومنهم من تعمد تحويل اسم المؤلف العربي أو تعريبه، كما نجد بعض المترجمين المسيحيين التي وظفتهم الكنيسة، فقد عملوا على تحريف الإسلام.

تعد طليطلة الأندلسية أول مدينة في أوروبا ظهرت فيها حركة الترجمة، حيث كانت المكتبات حافلة بالمؤلفات العربية كما نقلوا كتب العرب إلى اللغة اللاتينية كما شهد المعهد أبرز المترجمين من بينهم الانجليزيان روبرت الكلتوني وأدلار اليائي، وهم من رجال كنيسة طليطلة، حيث ترجم عدة كتب عربية إلى اللغة اللاتينية من بين هذه الكتب: النفس، الطبعة، وما وراء الطبعة لابن سينا، و"مقاصد الفلاسفة" لأبي حامد الغزالي ».[1]

« وكان الإمبراطور فريديك الثاني (648 هـ - 1250 م) التي درس العلوم العربية في قصره بيالرمو، كما ألف عددا من الكتب باللغة العربية وترجمتها إلى اللاتينية ونشر علوم العرب وآدابهم ».[2]

« كما ساهم الباحث في إحياء علوم العرب وبيان فضلها على الحضارة الغربية إذ نجد المدن الفرنسية التي أولت اهتماما بالغا بعلوم العرب التي كانت مركز للدراسات الطبية والفلكية في فرنسا، ومن أعلامها أرنودي فيلا نوفا (Arnaude Villanova) (ت 713 هـ - 1313 م) الذي كان يجيد اللغة العربية، كما يرجع إليه الفضل في تطور دراسة الطب حيث ترجم عددا كبيرا من الكتب العربية من بينها مؤلفات ابن سينا والكندي وغيرها، أمّا مدينة كلوني (Cluny). التي كانت تضم عددا من الرهان الإنسيان والإفرنج، فكانت من أهم المراكز في نشر العلوم العربية. أمّا الإيطالي ليوناردو البيزي وهو الذي نقل العلوم العربية إلى الأمم العربية فيعد من العلماء الذين تطور على يدهم علم الرياضيات في أوروبا وذلك بفضل من علوم الحساب العربية، لقد مضى ليوناردو مدة طويلة في مدينة بجاية بالجزائر، وأبرز شخصية عرفها معهد المترجمون بطليطلة هو الدون رالميوندو (ت 545 هـ- 1150 م) التي بفضله ترجمت النصوص العربية العلمية والأدبية إلى اللغات اللاتينية

---

[1]- محمد عباسة: الترجمة في العصور الوسطى، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الخامس، 2006، ص 13.

[2]- المرجع السابق، ص 14.

حيث كان مستشارا لملك قشتالة حيث تولى جماعة مترجمي طليطلة في عهد ألفونسو السابع، وقد ألح عليهم أهمية نقل المؤلفات العربية، كما نجد وجود العرب في فرنسا بجنوبها وشمالها كان له الفضل في تجسيد ثقافات العرب من فكر وعلوم وبلورها الإفرنج وشعراء التروبادور، كما عرف الأوروبيون أيضا التجارة والحرب والزراعة كما عرفوا أيضا نوع من الشعر واللغة والفلسفة ».[1]

« كما ساهم الباحث عباسة أيضا في دراسة عوامل التأثير والصلات العربية بالأمم الأخرى في القرون الوسطى التي بفضلها انتقلت العلوم والآداب من أمة إلى أخرى، إذ نجد الصلة الأدبية هي التي تحدد أصالة الأدب والفكر وتبيان وعوامل التأثير والكشف عن العلاقات الاجتماعية التي كانت قائمة في العصور الوسطى، وهذه العلاقات أدت إلى احتكاك العرب بالإفرنج وتأثرهم بالألوان الأندلسية لاسيما الموشحات والأزجال، وكان هذا الاحتكاك له أثر بالغ في انتشار اللغة العربية بين التجار الغربيين، وهذا دليل على أنّ المبادلات التجارية تمثل عامل من عوامل بعث الثقافة العربية الإسلامية إلى أوروبا، من دون أن ننسى تجارة الدقيق في القرون الوسطى. فمن بين هذه العوامل رابط المصاهرة التي كان قائم بين العرب والإفرنج في المشرق والأندلس في القرون الوسطى، والتي كان لها دور فعال في انصهار الأجناس وتقارب الثقافات. أمّا قصور الملوك والأمراء كانت هي المركز الرئيسي التي انتشرت منها علوم العرب وثقافاتهم، كما يتضح لنا عامل آخر أيضا هجرة العلماء والفلاسفة الأندلسيين إلى بلاد الإفرنج كانت من بين العوامل الأساسية التي ساعدت الإفرنج في القرون الوسطى على تطوير فلسفتهم وعلومهم. ومن جانب آخر جعلت العرب شعب متخلف الآن نفي الفلاسفة المسلمون من بلادهم، جعل العرب يبتعدون عن الاجتهاد ».[2]

فمن هنا يمكن القول أنّ العلاقات الاجتماعية بين العرب والأوروبيين في القرون الوسطى من بين العوامل التي أدت إلى انتقال الحضارة العربية، كما عكفوا على ترجمة

---

[1]- محمد عباسة: العلاقات الاجتماعية بين العرب والفرنجة وتأثيرها على الأدب والفكر، ص 13.
[2]- محمد عباسة: العلاقات الاجتماعية بين العرب والفرنجة وتأثيرها على الأدب والفكر، المرجع السابق، ص 15.

معارفهم من العربية إلى اللغات اللاتينية، ونجحوا في استغلالهم لعلوم العرب وثقافتهم، وجعلها نسير على طريقتهم.

« كما أنّه اهتم بالأدب الأندلسي وعلاقته بالأدب الأوروبي، كانت بلاد الأندلس في العصور الوسطى من أرقى البلدان العربية الإسلامية، تميزت بخصوصيتها الثقافية والاجتماعية، إذ يجدها حلقة اتصال بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي الذي أدى إلى انتقال معالم ثقافة العرب من أدب وفلسفة وعلوم إلى أوروبا، ظل الأدب الأندلسي بعد الفتح الإسلامي صدى لأدب المشرق حتى عصر الإمارة، وفي عصر الخلافة الأموية بالأندلس، كان لهذا الأدب أن يستجيب لبيئته الاجتماعية، فظهرت من خلاله الموشحات والأزجال، وبهر به أهل المغرب قبل أن يبهر أهل المشرق، كما نشير أنّ الشعر الأوروبي عامة والفرنسي خاصة قد تأثر في القرون الوسطى بأشكال الأدب العربي من خلال الشعر الأندلسي، ويعد شعراء التروبادور في جنوب فرنسا أول من نظم القصائد في الموشحات والأزجال، فقد اتخذ هذا الموضوع منذ نشأت الأدب المقارن في فرنسا.

لكن الشعر الأندلسي لا يختلف عن الشعر العربي إلاّ في مواضيع التجديد ونحو إذ هو من ديوان العرب، فهو يتميز بالرقة وجمال الأسلوب، ويغيب عليه الخيال يهتم بالألفاظ أكثر من المعاني، لأنّ أصحابه ابتعدوا عن التيارات الفلسفية والعمق في المعاني، كما نجده تحدث عن الغزل والنسيب الذّي كان سائد في المجتمع، إذ نجد الأندلسيون في بداية عصرهم يقلدون إخوانهم المشارقة في شتى مجالات الأدب، فكانت لديهم الرغبة في منافسة شعراء المشرق، كما أنّه تحدث عن الموشح الذي يعد من أهم ثمار التجديد الذي عرفه الشعر العربي لهذا علينا التعرف على العناصر البشرية التي يتركب منها المجتمع الأندلسي، فإلى جانب العرب المشارقة والمغاربة نجد قسمين من السكان، قسم الإسلام وهم المسالمة وقسم بقي على دينه وهم أهل الذمة ».[1]

« فالأندلسيون لم يتركوا باب من أبواب الغزل الذي عرفوه في قصائدهم وموشحاتهم وأزجالهم من بينهم الغزل الخفيف الذي ترك صدى واسعا في الآداب الأوروبية، إذ هو

[1]- محمد عباسة: الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب، ط 1، 2012، ص 07/06.

جزء من مقومات العرب، ظهر في المشرق قبل انتقاله إلى المغرب والأندلس ومن أشهر مؤلفاتهم كتاب "طوق الحمامة" في الألفة والآلاف لابن حزم (ت 456 هـ - 1064 م) وكتاب "الزهرة" لابن داود الأصفهاني (ت 297 هـ - 909 م) ».[1]

« كما نجد أيضا في الشعر الأندلسي الشعر الأوكسيتاني الذي يلجأ إلى الشعراء التروبادور فهو يشبه الموشحات والأزجال الأندلسية، إذ يعتقد الباحثين الأوروبيين أنّ شعراء التروبادور الأوكسيتاني قد تأثر بالأشكال اللاتينية القديمة، لكن الفرد في المجتمع الأوروبي وخاصة مجتمع القرون الوسطى التي تدل على أنّ هذه الصيغ التي وردت في الشعر الأوكسيتاني عند التروبادور هي تقليد لهم تعكس مقومات المجتمع الأوروبي، مثلا: نجد شعر الحب المؤانس الذي جاء به شعراء التروبادور لا يعكس واقع المجتمع الأوروبي وليس له أية صلة بالأدب الأوروبي الذي سبق القرن الثاني عشر الميلادي، بل هو جزء من مقومات العرب وهذا بشهادة الأوروبيين إذ يقول الكاتب الفرنسي ستاندال Stendhal: "إنّ البحث عن نوع الحب الحقيقي وموطنه يجب أن يكون في البادية تحت خيمة العربي"».[2]

نستخلص أن الأدب عامة والفرنسي خاصة قد تأثر في العصور الوسطى بمضامين وأشكال الأدب العربي من خلال اهتمامهم بالشعر الأندلسي، فمن هنا نجد أنّ الأدب الأوروبي يختلف عن الأدب الأندلسي.

[1]- المرجع نفسه ص282

[2]- نفسه، ص 330/310.

الفصل الثالث

نماذج من أعمال الدكتور محمد عباسة.

1.3 الأثر والتأثير والصلات الأدبية:

«أطلق المؤرخون مصطلح الحروب الصليبية على تلك الحملات التّي شنها الأفرنج في القرون الوسطى على بلاد الشام وفلسطين. فالحروب الصليبية أوسع من ذلك وقد سبقت هذه الفترة في الحقيقة، أنّ الحروب الصليبية الأفرنجية بدأت منذ فتح المسلمين لجزر المتوسط وبلاد الأندلس. وبهذا المنظور يمكن تقسيم الحروب الصليبية إلى ثلاث مراحل وهي الحروب الصليبية التّي شنها النصارى على مسلمين الأندلس، وذلك منذ فتح شبه الجزيرة في القرن الثامن الميلادي إلى غاية استيرادها في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، ثمّ الحروب الصليبية التّي شنها الأفرنج على البلاد العربية في المشرق وذلك منذ القرن الحادي عشر، فالحب الكورتوازي هو الحب المؤانس أو المجامل الذي ظهر في البروفنس (Provence) بجنوب فرنسا في القرون الوسطى عند الشعراء الفرسان. فالشاعر يلتزم بتخصيص كل مواهبه الشعرية لخدمة سيدته التي يحبها ويستوحي منها أفكاره وصوره مثلما يضع الفارس براعته الحربية في خدمة سيده ».[1]

« والحب المؤانس يسمو يقيمه على أي حب فروسي آخر، هذا المفهوم يتميز بتمجيد المرأة والخضوع لها حتى وإن لم تبادل العاشق الشعور نفسه وتكون في أغلب الأحيان من المتزوجات، وهذا تقليد للغزل العذري الذي اشتهر به شعراء بني عذرة، كما تحتوي أغنية الجب على مواضيع غزلية كالحب العفيف والغزل الصوفي، حيث استخدمها الشعراء البروفنسيون في القرون الوسطى. وتعد الكورتوازية اللبنة الأولى التي انتشر بفضلها شعر السيدة الغنائي، كما اعتقد بعض المؤرخين أنّ تاريخ الحب يرجع إلى القرن 12 م وهو العصر الذي اخترع فيه الشعراء البروفنسيون الحب الكورتوازي، فالشعر الأوكيستاني ليس له أية صلة بالشعر الروماني اللاتيني القديم وأنّ كتاب "فن الحب" لأوفيديوس لا يشهد أية علاقة بالكورتوازية».[2]

---

[1]- محمد عباسة: الحروب الصليبية ونزعة الحب الكورتوازي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الثاني عشر، 2012، ص 17.

[2]- المرجع نفسه، ص 18.

« لا يتضمن من العفة سوى نصائح الإغواء التي يقدمها أوفيديوس للرّجل والمرأة على السواء، فالباحثين العرب والمشرقيين فهم يرون أنّ شعراء الحب الكورتوازي الذّي جاء به الشعراء البروفنسيون لأول مرّة في أوروبا لا عهد له بفلسفة أوفيديوس ولا بغيره من مفكري الرومان واليونان، أي أنّ هذا النوع من الحب لا يعكس واقع المجتمع بل هو جزء من مقومات العرب ومن أهم الغازات الصليبية التي عرفتها الأندلس التي شنها سانشوراميروSancho Ramiro ملك أراغون على الحاضرة الإسلامية، بربشتر في شمال شرق الأندلس سنة (456هـ - 1064 م). بمساعدة أمير نورماندي، الذي عاد عبر جبال البرانس ومعه آلاف الأسرى المسلمين. وكان من بينهم عدد من المغنيات استخدمهم النصارى في القصور وقد ارتكبوا أفضح الجرائم، أمّا الأمير النورماندي فهو غيوم الثامن دوق أكيتانيا وأبو التروبادور الأول غيوم التاسع الذي نظن لأول مرة في أوروبا، ولم تقتصر حروب المسلمين مع الأفرنج على أرض الأندلس بل جرت أيضا في بلاد الأندلس الإفرنج والبروفنس لأنّ العرب دخلوا منطقة جنوب فرنسا ولم يخرجوا منها بعد انهزامهم في معركة بواتيه سنة (114 هـ- 732 م)، أنّ الحب الكورتوازي ينتشر في بلاد أوك لا يعكس العادات والتقاليد في المجتمع بل يوجه ثورة فكرية في وجه المسيحية، إنّ الحروب الصليبية كانت من بين الوسائل التي استخدمتها الكنيسة في القضاء على هذا الشعر الجديد، ففكر رجال الدين في قطع الصلات بين المشرق والمغرب باحتلال عساكرهم الأراضي المقدسة، حيث كانت هذه الحروب سببا في إنقاذ أوروبا، ومن هنا ينبغي أن نقول رغم محاربة الكنيسة لمبادئ الحب المستمدة من الفلسفة العربية الإسلامية والتي رأت فيها مظهرا من مظاهر التحرر فإنّ القوانين الأوروبية التي تسير العلاقات الاجتماعية لا تخلو من هذه المبادئ التي تأثر فيها الأوروبيون بالعرب المسلمين».[1]

« ومن بين العلاقات الاجتماعية بين العرب والفرنجة وتأثيرها على الأدب والفكر نجد بواكير هذا الأدب هو الشعر الأوكتساني الذي ظهر في جنوب فرنسا في القرون الوسطى التي ترجع إلى عوامل خارجية منها السياسية والاجتماعية والثقافية وكان الشعراء التروبادور الفرنسيون من السياقين والعلاقات الاجتماعية المتمثلة في المصاهرة وأمراء

[1]- محمد عباسة: المرجع السابق، ص 19.

الإقطاعيين والهجرة والتجارة، وأنّ المصاهرة عامل من العوامل الأساسية التي تؤدي إلى انتقال عناصر الحضارة من أمة إلى أخرى، فكانت هناك روابط أسرية التي كانت قائمة بين العرب والإفرنج في المشرق والأندلس في القرون الوسطى، حيث كانت أمهات بعض الملوك المسلمين من النصرانيات وكانوا يحكمون القسم الشمالي من شبه الجزيرة الإنبيرية، حيث اصطحبوا عددا كبيرا من رجال الدولة وكان أغلبهم من أهل العلم والأدب حيث استفادوا كثيرا من علوم العرب وثقافتهم. وكانت زيجات المسلمين الأفرنجيات يزرنّ أهلهنّ كلما منحت لهنّ الفرصة ويصطحبنّ عددا من الأتباع من واصفات وجوار وغلمان من بينهم مثقفون فريحات المسلمين كانوا همزة وصل بين أهل الأندلس ومختلف طبقات الأفرنج كما تزوجوا الأندلسيون من إفرنجيات التي ظهر فيها شعر السيدة الغنائي لأول مرّة في أوروبا ومن هؤلاء الحاكم الأندلسي موسى (ت 113 هـ- 731 م) الذي تزوج لامبيجيا ابنه أود Eudes دوق أكيتانيا وكان رئيسين للمسلمين، كان بلاط الملوك وقصور الأمراء من المراكز الرئيسية التي انطلقت منها علوم العرب إلى أرجاء كثيرة من أروربا. فطاحل الشعراء وأبرز المغنيين والمغنيات وكان أمراء الشمال المسيحيون يقلدون المسلمين في رعايتهم الشعراء والموسيقيين الذي كانوا من العرب والبروفنسيين. حيث انتشرت الكتب الموسيقية في أوروبا بعد هجرة الطلاب النصارى في عهد ألفونسو فكانت من أهم المراكز التي ساهمت في نقل الموسيقى العربية إلى جنوب فرنسا، ورغم العداء الذي كان يكنه ملوك النصارى للعرب المسلمين فإنّهم لم يرفضوا علومهم وثقافتهم، كانت بلاد الأندلس أكثر استقطابا للمهاجرين الأجانب نظرا لما كانت تتميز به من حضارة راقية فنجد منهم من كان يأتي إلى بلد المسلمين طلبا للرزق ومنهم من كان يأتي طلبا للمعرفة، حيث استفادوا كثيرا من معارف العرب، لقد هاجر الأوروبيون من بروفنسيين وأفرنج أيضا إلى المشرق العربي لمقاصد مختلفة منها الحج إلى القدس».[1]

ونستخلص من هنا أنّ الحروب الصليبية والحب الكورتوازي كان له تأثير واحد في تاريخ المدرسة الفرنسية، فتحدث عن الحب الذي يكنه الشعراء العرب وتأثره بشعراء

[1]- محمد عباسة: العلاقات الاجتماعية بين العرب والفكر وتأثيرها على الأدب والفكر، المرجع السابق، ص 08.

أوروبا أثناء الحروب، إذ نجده تحدث عن الحب والحرب في آن واحد. وهذا راجع على أنّ الحب كان من بين الأسباب التي دفعتنا إلى الحرب ونعني بها الحروب الصليبية.

لكن عندما نتحدث عن الحب الكورتوازي نجده أنّه لا يعكس العادات والتقاليد في المجتمع، أما فيما يخص الحروب الصليبية نجدها من بين الوسائل التي استخدمتها الكنيسة، ينبغي أن نقول رغم محاربة الكنيسة لمبادئ الحب والتي رأت فيها مظهرا من مظاهر التحرر وتأثر فيها الأوروبيون بالعرب المسلمين.

أمّا بالنسبة للعلاقات الثقافية بين العرب والفرنجة نتحدث عن تأثرين وكذلك عن الشعر الأوكيستاني بين العرب والإفرنج، حيث ساهمت هذه التأثيرات بشكل كبير خلال القرون الوسطى، إذ نجد حضارة العرب قد بلغت ازدهارا كبيرا، فمن الطبيعي أن يكون الإفرنج هم الذين أخذوا الشيء الكبير من العرب، فكان للمسلمين مواقع في جنوب فرنسا فاستقروا فيها داخل البروفنس وذلك منذ دخولهم الأراضي الإفرنجية، كما عرفوا أيضا الحروب والتجارة والزراعة، ومعنى ذلك أنّ المعاملات التجارية بين العرب والإفرنج كان لها أثر بالغ في انتشار اللغة العربية، وهذا يقودنا إلى أنّ العلاقات الثقافية بين العرب والفرنجة تختلف عن الحروب الصليبية والحب الكورتوازي في عمليات التأثر والتأثير والصلات الأدبية، كما أنّهما يشبهان في المنهج أي أنّهما اعتمد على المدرسة الفرنسية.

« لقد هاجر الأوروبيون من بروفنس وإفرنج إلى المشرق العربي لمقاصد مختلفة، وكان الحجاج النصارى في بلاد الشام في القرون الوسطى يستعينون بالعرب في معرفة حضارة الإسلام، كانوا يتقنون اللغة اللاتينية واللغة العربية إلى جانب لغتهم السريانية.

كان للعرب المسلمين مواقع في جنوب فرنسا استقروا فيها على الساحل اللازوردي وداخل البروفنس وبعض نواحي بلاد اللاكدوك، وذلك منذ دخولهم الأراضي الإفرنجية، لقد كان للعرب المسلمين مواقع في جنوب فرنسا، إنّ وجود العرب في فرنسا بجنوبها وشمالها كان له الفضل في تجسيد ثقافة العرب المسلمين من فكر وعلوم. عرف هؤلاء الأوروبيون عن العرب فنون الزراعة والتجارة والحرب عرفوا عنهم أيضا التجارية أثره البالغ في انتشار اللغة العربية بين التجار الغربيين إذ أنّنا نجد عددا من الكلمات العربية في اللغات الأوروبية كانت عامل من عوامل بعث الثقافة العربية الإسلامية إلى أوروبا، ولا ينبغي أن

ننسى تجارة الدقيق في القرون الوسطى إذا كان العبيد مصدر رزق في أوروبا الغربية عند كل من النصارى واليهود والمسلمين اختلطوا بالعنصر العربي والأوروبي قاموا بدور كبير في نشر ما تعلمون في المجتمعات، أي العلاقات الاجتماعية بين الإفرنج والعرب في العصور الوسطى كانت من أهم العوامل التي أدت إلى انتقال خصائص الحضارة العربية/ وأكثر ما تأثر فيه الأوروبيون بثقافة العرب هو شعر السيدة الغنائي وهذا الشعر يجسد الحب النبيل نظمه تروبادور في تمجيد المرأة والدفاع عن كرامتها».[1]

أمّا فيما يخص نشأة الشعر الديني عند العرب وأثره في الآداب الأوروبية « ظهر الأدب الديني عند العرب منذ بداية الرسالة المحمدية وكان أول من مدح رسول الإسلام والمسلمين والشعراء الذين انتدبهم محمد صلى الله عليه وسلّم للدفاع عن الدعوة الإسلامية إذ نجد الشعراء قد سبقوا العرب في المدائح الدينية حيث ظهر فيها مصطلح التصوف، نتيجة تطور الزهد الذي ارتبط بالروح الإسلامية أي أنّ التصوف ظهر داخل الإسلام نفسه في مناهجه ومفاهيمه التي لها نصوص عديدة في القرآن والسنة وأن المتصوفون القدامى أنّهم تأثروا بالمسيحية باستثناء بل ظهر التصوف قبل ذلك بدوافع إسلامية بحتة ».[2]

« فالتصوف ظاهرة إسلامية نشأت في جو الإسلام لكنّه تأثر بعوامل خارجية بعد احتكاك العرب المسلمين بغيرهم، فتطورت وأصبحت تشدد في العيادة ثمّ سلكت اتجاها نفسيا وعقليا حيث نبين أفكار أجنبية وأنّ المؤثرات الهندية الذي يتمثل في ميل الهنود إلى حياة التقشف والزهد وإلى احتقار الذات.

وهذا ما يتوافق مع بعض السلوكات الصوفية، أمّا التأثير اليوناني فهو يتجلى من خلال نقل فلسفة اليونان، وعلى وجه الخصوص كتب أرسطو وأفلاطون لا تخلو من التصوف، لقد تأثر المتصوفة العرب أفلاطون في النفس كما تأثروا بأرسطو طاليس في مفهومه لطبيعة الخالق بالمخلوقات، أمّا فيما يخص المسيحية فقد تأثر متصوفة الإسلام بنظام الرهبنة في تعذيب البدن، والامتناع عن الزواج، كما تأثر متصوفة الإسلام بمفهوم الحلولية عند المسيحيين يعتقد أنّ المسيح هو عقل تجلى في شخص عيسى الإنسان، لكنّ الثورة عند

---

[1]- محمد عباسة: العلاقات الاجتماعية بين العرب والفكر وتأثيرها على الأدب والفكر، المرجع نفسه، ص 09.

[2]- محمد عباسة: نشأة الشعر الديني عند العرب وأثره في الأدب الأوروبية، المرجعالسابق،ص 12.

المتصوفة والزهاد لم تكن فعلا إيجابيا في إصلاح أوضاع المجتمع أو تغير النظام السياسي بل كانت ثورة ذاتية وجدانية، وكان أبو حامد الغزالي وابن تيمية من أبرز هؤلاء الذين عملوا على محاربة الصوفية وتجريدها.

حيث أن لم يهتم الغزالي بحلول الأخلاق في عصره الذين كان يعيش في كنفهم ولا بالحملات الصليبية على بلاد الشام وما لحقها من دمار همجي، أمّا محي الدين بن عربي فهو من الشعراء لذا اقترنت عنده الصوفية بالحب والعشق الإلهي، ولأنّه مرّ بتجربة الحب أيام الشباب لذا وصفوه بأوصاف لا يتقبلها العقل ولا تسمح بها تعاليم الإسلام، ويعد رايموندولوليو الاسباني (1235 هـ- 1315 م) من الأوروبيين الذين تأثروا مباشرة بالأدب الديني العربي ابن أحد الفرسان ممن رافقوا الملك خايمة في احتلال الجزيرة وافتكاكها من الأندلس فهي غريبة المصادر ومن خلال ما ورد في كتبه يتجلى بوضوح أنّ هذا الاسباني قد تأثر كثيرا وعلى وجه الخصوص في المنهج وطريقة العرض لقد اقتبس لوليو فقرات عدة من كتب ابن عربي وغيره من المتصوفة ولكنّه لم يهمل ذكر المصادر وكانوا يحرفون أسماء المسلمين ويهملون خوفا من الكنيسة، كما أنّهم تأثروا بالأدب العربي خوان رويث الذي تظم قصائده على منوال الموشحات والأزجال من حيث الشكل وفي كتابه "الحب الطيّب" وقد تأثر بابن حزم الأندلسي في طوق الحمامة حيث كان يتكلم اللغة العربية ».[1]

« كما ظهر حب الآخر في الشعر الأندلسي والبروفنسي لقد عمل الإسلام على نبذ العصبية وإرساء مبادئ التسامح والمحبة، وجعل من الشاعر شاعر أمة لا شاعر قبيلة لكن العرب انحرفوا عن هذه المبادئ عند قيام الدولة. حيث تطرق بعض الشعراء الأوروبيين في أواخر حياتهم إلى نوع من الاستغفار في شعرهم يشبه المفكر عند الموشاحين والزجالين في الأندلس كأن ينظم الشاعر قصيدة يتقرب فيها إلى الله وهو نادم على كل ما ارتكبه من إثم في أيام الشباب، وكان الكونت غيوم التاسع (1074 هـ- 1127 م) أول الشعراء الأوكسيتانين في نظم القصيدة أمّا دانني أليغيري (1265 هـ- 1321 م) فقد جسد في

[1]- محمد عباسة: المرجع السابق، ص 17-18.

الكوميديا الإلهية أهم الرسائل مثل: رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري، رحلة الإسراء والمعراج وغيرها من القصص الدينية». [1]

« كما نجد النّاس انحرفوا عن هذه المبادئ عند قيام الدولة الأموية التي عملت إحياء العصبيات مما أدى إلى ظهور طوائف عرقية في المجتمع الإسلامي، وراحت تطعن في نسل العرب وتمجد العجم وتفتخر بحضارتهم، فإنّ الحضارة العربية الإسلامية على مدى العصور لم تتأثر كثيرا بهذه العصبية التي سادت في العصر الأموي وامتدت إلى الصر العباسي، فقد أوصت الكتب السماوية باحترام الغير، لكن بعض الجماعات البشرية والأفراد يريدون إلغاء الآخر وعدم الاعتراف بخصوصيتها حيث ظلّ يكافح من أجل إثبات الذات وفرض وجودة ككائن حيّ فالمجتمع الأوروبي في القرون الوسطى كان لا يرى في المرأة إنسانا آخر، حيث كانت الكنيسة تحملها كل مصائب الدنيا وتنعتها بألقاب لاذعة، ظهر شعر الحب المؤانس في جنوب فرنسا في بداية القرن الثاني عشر ميلادي، فالمرأة الأوروبية كانت لها مكانة مرموقة في المجتمع البروفنسي حيث الكنيسة عرفت هذا النوع من الحب واعتبرت ذلك خروجا عن تعاليمها فحاربته بشتى الوسائل وحتى بالشعر بنفسه، أمّا في بلاد الأندلس فالمرأة كانت دوما جزءا من المجتمع وعضوا فعالا فيه كما أنّها امتهنت التجارة وعبرت عن رأيها كما استبشرت في أمور شتى. وقد تغزل بها الشعراء وهاموا بحبها منذ بداية الشعر العربي، ومن الطبيعي أن تتبوأ المرأة هذه المكانة في المجتمع العربي الإسلامي حيث تدعوا إلى حماية المرأة واحترامها». [2]

« وهناك مبادئ أخرى احترام الآخر وصيانة حقوقه وهنا لا يقصد بالآخر المسلم فقط وإنّما أي إنسان مهما كان نسبه ولونه حيث وجدنا الكثير من الأندلسيين على اختلاف طبقاتهم يتزوجون من عجميات إسبانية وإفرنجيات، كما أنّ لم يكتف الأندلسيون بالزواج من العجميات، إذ أن وصلت إلينا أشعار كثيرة نظمها شعراء أندلسيون وصقليون يتغزلون لهن مثلما يفعلون مع المسلمات، ولا تظنّ أنّ الفرق في الدين هو سبب هذا الهجر واستحالة هذا الحب، فالكثير من المسلمين من الأندلسيين تزوجوا بمسيحيات ولم يكن الدين عائقا في

---

[1]- محمد عباسة: حب الآخر في الشعر الأندلسي والبروفنسي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد 14، 2005، ص 08.

[2]- محمد عباسة: المرجع نفسه، ص 09.

وجه ذلك لقد ارتبط شعراء ابن الحداد الذي قاله في "نويرة" بالدين المسيحي فهو يستحضر كل ما يتعلق بهذا الدين حيث يتذكر حبيبته في قوله:

عَسَاك بِحَق عِيسَاك مُرِيحَة قَلْبِي الشَّاكِي

فَإِنَّ الحَسَن قَدْ وَلاَ كِ إِحْيَائي وإِهْيَاكِي

وَأَوْلَعَني بصَلْبَان وَرَهْبَان وَنَسَاكِ

وَلَمْ آتِ الكَنَائِس عَنْ هَوَى فِيهِنّ لَوْلاَك

وَهَا أَنَا مِنْك فِي بَلْوَى وَلاَ فَرَج لَبَلْوَاك

وَلاَ أسْتَطِيع سِلْوَانافَقَدْ أَوْثَقَت إِشْرَاكِي

فمن هنا نرى أنّ الحب كان أقوى مما تمليه الأعراف والتقاليد فلم يكترث ابن الحداد لما أصبح يتردد على الكنائس حيث امتدح حبيبته وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل أنّ الحب عند العرب لم يعرف حدود إقليمية أو عقائدية، ولم يكن ابن الحداد وحده من هام بحب مسيحية بل كثيرهم الأندلسيون والصقليون من تعلقوا بهوى مسيحيات.

لقد تغزل البروفنسيون بسيدات أجنبيات إنجليزيات وأجنبيات إسبانيات ومن الطبيعي أن يتغزلوا بهنّ ما دامت تربطهم علاقات مصاهرة بهذه الشعوب، كان غيوم التاسع دوق أكيتانيا وكونت بدايته السابع وهو أول تروبادور حيث تزوج السيدة "فيليبا" أرملة سانشورامير ملك أراغون الذي قتل في منطقة وشفة ».[1]

نستخلص من هنا أنّ التحدث عن الشعر الديني عند العرب قام بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين للدفاع عن الدعوة الإسلامية، كما تحدث عن التصوف بمفاهيمه في القرآن الكريم والسنة كما نجده تأثر بالمسيح، كما نجده تأثر أيضا بالعوامل واحتكاكه بالمسلمين العرب، وتحدث أيضا عن الزهد لاحتقاره للذات كما تأثر الصوفيون بكتب أرسطو وأفلاطون التي تحدث عن طبيعة الخالق للمخلوقات، كما تأثر متصوف الإسلام كذلك بنظام الرهينة، وذلك من خلال إهمال النّاس لأنفسهم وتعذيبها من أجل الامتناع عن الزواج، أي أنّهم كانوا يرفضون هذه الفكرة الأنسياب، إذ نجد بأنّ الثورة عند التصوف والزهد كانت سلبية وهذا دليل على عدم اهتمامها بالأوضاع الاجتماعية.

---

[1]- محمد عباسة: حب الآخر في الشعر الأندلسي، المرجع السابق، ص 14/13.

كما نجد الأوروبيين قد تأثروا بالأدب الديني العربي إذ نجد أنّ ابن أحد الفرسان تأثر بالمنهج وطريقة العرض، إذ نجد ابن عربي لم يهمل المصدر وكانوا يستهزؤون بالمسلمين كما تأثروا أيضا بالأدب العربي الذي تحدث عن الموشحات والأزجال في كتاب طوق الحمامة، في الأخير نجد الأوروبيين في أواخر حياتهم يقتربون إلى الله، كما أنّهم ندموا على كل ما ارتكبه من إثم في أيام الشباب، ففي هذا النوع من الشعر تجده قد تحدث على تأثر بين الشعر الديني والأدب الأوروبي، فإذا قارنا بينه وبين حب الآخر في الشعر الأندلسي والبروفنسي نجده تحدث عن مبادئ المحبة والتسامح، في حين نجد العرب قد انحرفوا عن هذه المبادئ حيث تحدث بعض الأوروبيين في نهاية حياتهم إلى نوع من الاستغفار، إذ نجدهم يتقربون إلى الله، وكانوا يتبعون أهم الرسائل مثل: رسالة التوابع والزوابع، ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري.

إذ نجد النّاس لم تهتم بهذه المبادئ، حيث قامت بنشوء العصبيات وتمجيد العجم التي افتخرت بحضارتها، إذ نجدهم متأثرين بالعصبية، لكن الكتب السماوية فقد أوصت بأن يحترم الغير ولكن البعض هناك يريدون رفض هذا وعدم الاعتراف بهما، وهذا دليل على إثبات الوجود في المجتمع، حيث وصف المرأة بأوصاف لا تليق بها على أنّها سبب في كل المصائب، إذ نجد إلى جانب هذا الحب المؤانس تحدث أيضا عن المرأة الأوروبية التي لها مكانة عالية في المجتمع البروفنسي إذ نجدها قد اعتبرت هذا النوع من الحب خروجا عن تعاليمها، أمّا الأندلسيون يرون أنّ المرأة جزءا من المجتمع، لذلك تغزل بها الشعراء إذ أنّهم تعلق بحبها، فمن الطبيعي أن تكون لها مكانة عالية وحمايتها واحترامها، كما هناك مبدأ آخر وهنا لا يقصد بالآخر هو المسلم. (فبهذا نسلم بأنّ) وإنّما أي إنسان مهما كان نسبه ولونه فبهذا نسلم بأنّ حب الآخر في الشعر الأندلسي والبروفنسي له تأثير واحد على عكس نشأة الشعر الديني والأدب الأوروبي الذّي اعتمد على تأثيرين فقد نجدهم قد اختلفوا في الأثر والتأثير، إذ نجدهم اعتمادا على الدرس الأدبي في المنهج التاريخي التي تعتمد عليه المدرسة الفرنسية.

« غير أنّ شعر التغزل بالآخر الذي اشتهر به الشعراء الجوالون في بلاد البروفنس هو الحب البعيد، أو الحبيبة المجهولة كما يسميه ابن حزم الأندلسي في "طوق الحمامة" وغالبا ما تكون الحبيبة المجهولة من مجتمع آخر فمن قصيدته:

عَشِقْتُ امْرَأَة لَكِن لاَ أَعْرِفُهَا.

لِأَنَنِّي لَمْ أَرَهَا أَبَدًا فِي حَيَاتِي.

لاَ أَحْسَنَت لِي فِي يَوْم وَلاَ أَسَاءَتْ.

نُورْمَانِي وَلاَ فَرَنْسِي فِي دَارِي.

في هذه القصيدة يقص علينا كيف تعلق بحب امرأة لم يعرفها ولم يرها أبدا وهذا لا لم يقع في الشعر الأوروبي الذّين أحبوا بالوصف دون أن يروا المحبوب، رامبو دورانجالذين هام مدّة طويلة بحب فتاة لم يراها رامبو بل أحبها لما سمع عنها من أوصاف حميدة شدته إليها حيث مات من دون أن يراه ».[1]

« فمن مصادر الشعر الغنائي، شعر التروبادور الغنائي ظهر في أوروبا منذ عصر قدماء اليونان، لكن الشعراء لم يعرفوا الشعر الغنائي المقفى إلاّ في بداية القرن الثاني عشر ميلادي في جنوب فرنسا أول من نظم هذا الشعر الجديد في منطقة بروفنسا شعراء التروبادور ثم انتشر في إتحاد أوروبا، بالإضافة إلى ترويادور بلاد أوك نظموا الشعر بلغتهم الأوكيستانية نجد شعراء تروبادوريين آخرين ولدوا خارج بلاد أوك أو من جنسيات أخرى نظموا الشعر بهذه اللغة، فالتروبادور هو الشاعر الجوال الذّي أجمل الأشعار الغنائية اشتقت هذه الكلمة من الفعل تروبار (Trobar) بمعنى وجد أي وجد العبارات الجميلة وأطلق اسم التروبادور على كل من يفرض الشعر، أمّا الجونغلير فهم الذين اتخذوا من الشعر حرفة لهم فكان من إيداع تروبادور. استخدم التروبادورالجونغلير لترويج أغانيهم في أوساط طبقات الشعب البروفنسي، يعتقد الأوروبيون أنّ الشعر ».[2]

« لقد نشأ في أوائل القرن الثاني عشر للميلادي في بلاد البروفنس غير بعيدة عن مناطق الأندلس استخدمه الشعراء في حب امرأة وخدمتها والدفاع عنها ونظموه باللغة

---

[1]- محمد عباسة: حب الآخر في الشعر الأندلسي، المرجع السابق، ص 18.

[2]- محمد عباسة: مصادر شعر التروبادور الغنائي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الرابع عشر، 2014، ص 09.

الأوكيستانية أغوى خلال الصور الوسطى طوائف أخرى من الشعراء في غرب أوروبا الذين نظموا على منواله فظهر شعراء شمال فرنسا الذي نظموا شعرهم بلغة الشمال وشعراء إنكلترا وشعراء ألمانيا وغيرهم من الشعراء الجوالين الأوروبيين، كما أنّهم لم يتمكنوا من تحديد المصادر المباشرة التي يكون هذا الشعر الأوروبي قد تأثر بها في نشأته بض المقارنيين توصلوا إلى أنّ مصادره أجنبية في حين أنكر عنه آخرون أي تأثير ولتسليط الضوء على المصادر الرئيسية لشعر الأوكيستاني، وأنّ جرأة غيوم التاسع على نظم أغاني الحب حيرت بعض الدارسين الذي لا يرون في ذلك إلاّ تناقضا صريحا مع عاداته ومقومات المجتمع البروفنسي التي لا تسمح للرّجل للوصول إلى المرأة ويخضع لإرادتها ويخدمها كما يخدم العبد سيده.

بل الغزل العفيف أو العذري ظهر في مرحلة من مراحل تطور الشعر عند التروبادور، لكن علينا أن لا ننسى بأنّ قصائد غيوم التاسع الباقية من ديوانه ليست كافية حتى تكون مرآة عاكسة، لم يبق من آثار وغيوم التاسع إلا إحدى عشرة قصيدة اتفق الباحثون على صحة نسبتها إليه، فالقصائد الثلاث جاءت موحدة القافية شأنها في ذلك شأن الشر العربي التقليدي، أمّا القصائد الأخرى المتبقية فنظمت على طراز الموشحات والأزجال الأندلسية مع التغيير المقصود في ترتيب القوافي.

كان جامارياريبيري في القرن السادس عشر للميلادي أوّل من أشار إلى تأثير الأدب الأندلسي في الأدب الأوكيستاني المجاور، وقد دافع عن هذه الفرضية في نهاية القرن الثامن عشر للميلادي ومن أهم خصائصه احتفظ كل منهم بافتراضاته التي جانبت في معظمها أبسط قواعد الموضوعية، فالدارسون الرومانيون وعلى رأسهم بدزولا يرجعون أصل الشعر الغنائي الأوكيستاني إلى مصادر لاتينية بحتة حيث اعتمدوا على قصائد القديمة فورتوناتوس روماني عاش في القرن السادس للميلاد ذهب إلى عالة لكنّه لم يبق طويلا في بلاط الميروفنجين الذي كانوا لا يعرفون القراءة والكتابة ».[1]

« يعتقد البروفنصاليون وعلى رأسهم غاستون باري وتلميذه ألفريد جانروا أنّ الشعر البروفنسي ولد في أرض أوك ومات فيها كذلك. أمّا فيما يتعلق بالأثر اللاتيني فإنّ ألفريد

[1]- محمد عباسة: مصادر شعر التروبادور الغنائي، المرجع السابق، ص 12.

جانروا يرى أنّ هذا الأثر لا يقبل الجدل في الأوزان الرومانية. فقد يمكن إدراكها في نتاج التروبادور خاصة عند القدماء الذين اتصلوا بالمدارس ويضيف جانروا قائلا: ولكنّ هذه الآثار الثقافية نادرة وسطحية وليس هناك أية لاتينية في إطار نظمهم والتغني بالمرأة وتصوير الحب لا يمت بصلة إلى المرائي اللاتينية ».[1]

« لا يخفي جانروا في هذا الحديث معارضته للآخر الروماني لكنّه لا يستبعد احتمال التأثير الروماني في أوزان التروبادور غير أنّ كل الدلائل تبين أنّ التروبادور الذين ابتكروا الشعر الغنائي لم يتصلوا بالمدارس اللاتينية، بل اخترعوا هذا الشعر لمعارضة المدارس الإكليروسية وعرفوا بأنّ الحب الذي جاء به أوفيديوس يختلف كل الاختلاف عن حب التروبادور حيث يصر جوزيف أنغلاد على أنّ شعر التروبادور قد تطور عن الشعر الشعبي حيث يختلف عليه من حيث الشكل فمن هنا يكون قد حطم كل ما بناه سابقا، فنجد الفرضية أكثر غرابة في فكرة التأثير أو هرطقة الكاثارية أو "نزعة التطهر" في مبادئ الحب الكورتوازي يرى دوني دي روجمون في كتابه "الحب والغرب" أنّ مفاهيم الحب التي يراها الشعر البروفنسي لا تعكس العادات الاجتماعية أي دوني روجمون كان مقتنع أنّ الحب الذي ظهر عند التروبادور جاء من جهة أخرى، وبالتالي فالشعر الأوكستاني (مازال متواصلا) لم ينته ومازال متواصلا إلى يومنا هذا ولكنّه لم يبق على حاله في عهد التروبادور، حيث أنّه برز شعراء مجددون وصف عصرهم بعصر النهضة الأوكيستانية».[2]

« ولم يكتب بعد التروبادور بلغة أوك سوى أهل اللانكدوك بل تقلصت منطقة هذه اللغة، كما أنّها تأثرت باللغة الفرنسية في الكثير من خصائصها ».[3]

نستخلص من هنا أنّ شعر تروبادور الغنائي يرى أنّ ألفريد جانروا أنّ الأثر في الأوزان الرومانية، إذ نجد هذه الآثار الثقافية سطحية وليس هناك أية لاتينية، كما ورد في شعر التروبادور أيضا ما يسمى بالحب الطاهر، إذ نجده تحدث عن الأثر الروماني وعدم

[1]- المرجع نفسه، ص 19.
[2]- المرجعنفسه، ص 21.
[3]- المرجع نفسه، ص 23.

احتماله لهذا الأثر في التروبادور، نفهم من هنا أنّه ابتكر الشعر الغنائي، وأنّ الحب الذي تحدث عليه أفيديوس يختلف عن التروبادور، كما نجده أيضا تحدث عن الحب الكورتوازي يعني هذا أنّ الشعر البروفنسي قد يعكس العادات. نجدهم تحدث عن المرأة ودافعوا عن حقها. كما نجدهم أيضا تأثروا بالمصادر في الشعر الأوروبي.

فهذا النوع من الشعر كان له تأثير واحد وهو الحديث عن المرأة ومكانتها في المجتمع، وأنّها اعتمدت على الدرس الأدبي وليس النقدي من خلال الأثر والتأثير والصلات الأدبية وهذا من خلال إتباعنا للمنهج التاريخي.

2.3 الفلسفة والتصوف

« نحاول من خلال هذه الدراسة توضيح الحقائق الإيجابية من فلسفة ابن رشد، ونلقي الضوء على الأسباب التي دعت بعض العلماء إلى محاربة العقلانية الرشدية. يعد ابن رشد أكبر شارح لفلسفة ابن رشد لقد درس الفقه وحفظ الموطأ. كما درس الطب والرياضيات والفلسفة، وتولى ابن رشد القضاء في اشبيلية وقرطبة في عهد الخليفة يوسف، وقد نفي ابن رشد ما نسب إليه من الأقوال في الشريعة ما يخالف الدّين واعتبر ذلك افتراء من خصومه، وزعموا أنّ الفلاسفة زنادقة، يجب تحريم كتبهم وحرقها، فقد نجح فقهاء قرطبة في ايعاد ابن رشد بحيث نفي إلى بلدة "اليسانة" القريبة من قرطبة ثمّ نشر الخليفة المنصور في الأندلس والمغرب بيانا يدعو فيه الناس إلى الابتعاد عن الفلسفة ويأمرهم بإحراق الكتب الفلاسفة ».[1]

« ولمّا عفي عن ابن رشد استدعاه الخليفة إلى مراكش غير أنّه لم يعيش بعد ذلك أكثر من سنة حتى توفي وحمل جثمانه إلى الأندلس ليدفن في قرطبة.

حيث اتخذ منهجا أصلا في فلسفته، فقد اكتشف أنّ المترجمين العرب الذين نقلوا فلسفة أرسطو ولخصوها، تطرقوا كثيرا في كتاباتهم مما أدى إلى تشويه بعض آراء المعلم الأول أمّا بالنسبة لابن رشد فقد أثبت جدارة أصالته الفكرية، لذلك أقبل الكثير من النّاس فلسفته ».

[1]- محمد عباسة: الفلسفة العقلانية عند ابن رشد، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الحادي عشر، 2011، ص 08.

« لم يكن ابن رشد يعرف من اليونانية شيء لذلك فهو لا يعد مترجما وإنّما شارحا كما يسميه دانتي أليغييري في "الكوميديا". لكن كيف تفوق حكيم قرطبة على أضرابه في شرح أرسطو دون الرجوع إلى الأصل اليوناني.

ومن أشهر كتبه "فضل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال"، في علم الكلام و كتاب "تهافت التهافت" في الجدل الفلسفي الذي يرد فيه على أبي حامد الغزالي المتوفى سنة 1111 للميلاد».[1]

« يعد ابن رشد حامل لواء الفلاسفة العقلانيين وقد ردّ في الكثير من المسائل على المتكلمين وعلى الخصوص الإمام الغزالي صاحب كتاب "تهافت الفلاسفة". الذي عارضه أبو الوليد فتمكنوا من وجود الكون والخالق، يقول المتكلمون بحدوث الكون والتصرف المطلق للخالق يرو أنّ الكون لم يخلق من العدم وإنّما من مادة. أمّا خلود النفس انقسم فيها إلى فريقين، فريق يقول وجود عقل عام وعقل فردي منفعل وأنّ الخلود لا يكون إلاّ للعقل العام أي الإنسانية، أمّا الإنسان فإنّه يفنى من العقل فهذا الرأي نجده يتناقض مع العقيدة، أمّا فريق آخر يعتمد بخلود الإنسان لأنّه لا يختلف عن المتكلمين ».[2]

« أخذ الإمام الغزالي على الفلاسفة مخالفتهم لعقائد أهل السنة في عشرين مسألة هناك من يقول بأنّه فاسق وكافر وقد كفر أبو حامد الغزالي الفاراني المتوفى سنة 950 للميلاد وابن سينا المتوفى سنة 1037 للميلاد. إذ قالوا أنّ الله تعالى لا يعلم الجزئيات، لكن ابن رشد لا يرى أي إشكال فهو يقول أنّ الله تعالى يعلم الجزئيات وبأنّ عمله لا يقاس بعلم البشر، وهذا ما كان يذهب إليه أبو نصر الغرابي حيث يقول: "وأمّا جلّ المعقولات التي يعقلها الإنسان من الأشياء التي هي في مواد، فليست تعقلها الأنفس لأنّها أرفع رتبة بجوارها على أن تعقل المعقولات التي هي دونها، هناك تناقض مع الدين الإسلامي الذي بحث المسلم على مفاهيمه الغير بالتي هي أحسن، غير أنّ تحامل الغزالي على ابن سينا والفارابي وغيرهما. ما هو إلاّ اعتراض على تنبيه العقل وإدراك الأمور ولا يمكننا إنكار لأبي حامد في إحياء العلوم الدينية التي استعملها في رده لم تكن تليق بمقام شيخ جليل مثله ».

[1]- محمد عباسة: الفلسفة العقلانية عند ابن رشد،المرجع نفسه، ص10/09.
[2]- المرجع نفسه، ص 11.

« فإنّ رشد استغرب نوايا الغزالي، يرى أنّ هذا القصد لا يليق بالذين في غاية الشر، واتهمه بأنّه كان يصطنع حججا لتشويه مذهب الفلاسفة، حيث كان يتقول عليه ما لم يقولوه، فكان ابن رشد متساويا في ردّه على الغزالي ».[1]

« لقد حرص لكي لا تتسع رقعة الخلاف بين المتكلمين والحكماء، وأنّ مخالفة ذلك لا يقبله الشرع ويضر بالفلسفة والدّين وهذا على أنّ ابن رشد تأثر بفلسفة اليونان في منهجه التعليمي، لقد شغل مفكروا الإسلام بالتوفيق بين العقل والوحي، وبين الدّين الإسلامي يعد ابن رشد أول فيلسوف أتمّ محاولة التوفيق بين الحكمة والشريعة، وكل ما قدمه ابن رشد من الأعمال إلاّ أنّه في الأخير عارضوا الفلسفة الرشدية ومن بينهم اللاهوتيون الذين أصدروا عرائض تمنع دراسة الفلسفة الرشدية وكانت أعظم فلاسفة اللاهوت في أوروبا، كما نّ القديس قوما الأكويتي أشدّ خصوم الفلسفة الرشدية لأنّه يعد من تلامذة ابن رشد كما أنّه يتفق معه في بعض المسائل التي تتعلق بالتوفيق بين الدّين والحكمة ».[2]

فمن الفلسفة الرشدية يمكننا أن نتحدث أيضا عن التصوف الإسلامي بين التأثير والتأثر « إنّ الصوفية الذي سلكوا طريق التصوف كانوا ملمين بالعلوم الدينية مما يمكنهم من الرّد على انتقادات خصومهم حتى لا يتعرضوا للانحراف، ويرتبط التصوف بالمجاهدات والرياضيات النفسية ويصب جلّ اهتمامه على الروح والطريقة الصوفية تنقسم إلى مواقف هي المقامات، الأحوال، هذا المصطلحان استخدمه الصوفيين للدلالة على مكانة الطريقة الصوفية وما يأتيه من رحمة الإله، المقام ويقصد به الإنسان فيما يقام من عيادات، أمّا الحال فهي ما يتعرض له القلب من سمات الرحمة الإلهية، والأحوال مواهب ظرفية وإذا دامت تحولت إلى مقامات مكتسبة، من الأحوال: المراقبة، القرب، المحبة، الخوف، الطمأنينة، الرجاء، الشوق، ومن المقامات: التوبة، الورع، الزهد، الفقر، الصبر، الرضا، التوكل، ارتبط التصوف بالفلسفة فاهتم الصوفية بعلوم المكاشفة ومعرفة الله وكان ذو النون المصري (245 هـ- 859 م) أول من أدخل العرفانية في التصوف الإسلامي ».[3]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 13/12.

[2]- محمد عباسة: الفلسفة عند ابن رشد، المرجع السابق، ص 15.

[3]- محمد عباسة: التصوف الإسلامي بين التأثر والتأثير، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد العاشر، 2010، ص 07.

« وجاء أبو يزيد البسطامي (ت 270 هـ- 875 م) بنظرية الفناء، أي فناء الإنسان عن نفسه لا شعوريا بذاته مع الله، مع تطورت هذه النظرية إلى الحلول والاتحاد مع الله، حيث اختلفوا الصوفيون حول علاقة الإله بالكون، فريق قال بوحدانية الله وأنّه خالق الكون، وفريق آخر سرى أنّ العالم لم يخلق من العدم بل وجد من البداية، والكون هو صفات الذات الإلهية أي مظهر الله الخارجي، وذهب الصوفية من أنصار نظرية وحدة الوجود إلى أنّ الإنسان يتحد مع الله، فقد تأثر الصوفيون الأندلس بمناظر الطبيعة وبهاء عناصرها الحية والجامدة، ومجدوها للتعبير عن مشاعرهم الصوفية وأشواقهم للقاء الخالق لما فيها من دلالة على عظمة الله وقدرته، فراح الشعراء الصوفيون يشخصون عناصر الطبيعة ويستلهمون من أصنافها صفات الذات الإلهية على غرار ما ذهب إليها الشعراء الغزليون، والحب الصوفي ظاهرة طبيعي وباطنه روحاني يتمثل الزهد والتجرد من طيبات الحياة سعيا للفناء في الذات الإلهية، والشاعر الذي يعتنق هذا الحب الروحاني الأفلاطوني يهب نفسها كلّها لله ولا يرغب في شيء آخر سوى الله، فهو يقوم بهذه المجاهدات ليس حبا من الجنّة ولا خوفا من النّار يريد الصوفي نفسه أن يموت موتا عذبا بالشوق الحار الاتحادية به ».[1]

« غير أنّ الحب الإلهي عند شعراء الصوفية يعتمد على الرموز والمصطلحات والإشارات ولا تدرك معانيه إلاّ بالتأويل أول شعر ورد فيه ذكر مريح للحب الإلهي تضمنته مقطوعة شعرية مشهورة نسبها المؤرخون إلى رابعة العدوية المرأة الصوفية:

أُحِبُك حُبَيْن، حُبَ الهَوَى وَحُبا أَنَّكَ أَهْل لِذَاكَ.

فَأَمَّا الذِي هُوَ حُبُ الهَوَى فَشَغَلَنِي بِذِكْرِك عَمَنْ سِوَاكَ.

وَأَمَّا الذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ فَكَشْفك لِلْحَجْب حَتَى أَرَاكَ.

فَلاَ الحَمْدُ فِي ذَا وَلاَ ذَاكَ لي وَلَكِنَّ لَكَ الحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ.»[2]

« كانت رابعة (ت 185 هـ- 801 م) أمة معنفة على الناي، ظلن عازفة عن الزواج، وأمضت حياتها كلّها متعلقة بالحب الإلهي نشأت بالبصرة فقيرة محرومة من أبسط ضرورات الحياة، فانحرفت إلى عالم اللهو والمجون حيث العزلة عن الدنيا ومتاعها، فبذلت

[1]- محمد عباسة: التصوف الإسلامي بين التأثر والتأثير، مرجع سابق، ص 09.

[2]- المرجع نفسه، ص 10.

نفسها كلّها لله، رفعت عنصر الحب بمعناه الحسي إلى حب إلهي، أمّا بالنسبة للغزالي (ت 505 هـ- 1111 م) صاحب إحياء علوم الدين، فقد عمل على جعل التصوف مقبولا لدى السلطة والفقهاء المتشددين في أحكام الشريعة، فيرى الغزالي معرفة الحقيقة إنّما تأتي عم طريق الإيمان والقلب وليس العقل فهو يستخدم العقل في البحث عن الحقيقة الإلهية، ومن هنا يتجلى بوضوح تأثير الأفلاطونية الحديثة والمسيحية في فلسفة ابن عربي الصوفية والنظرية الأفلاطونية الحديثة انتقلت إلى الشرق بوساطة النصارى السريان وقد أنا عليه مذهبه في وحدة الوجود سخط الفقهاء المتشددين كما ثاروا على الحلاج من قبل، وكان متصوفة الإسلام قد تبنوا النظرية الأفلاطونية المحدثة ومذهب التطهير في المسيحية ومذهب أوغسطين الجزائري في اللطف الإلهي، ولابن عربي في وحدة الأديان مذهب لا يختلف كثيرا عن مذهب الحلاج، وذهب إلى أن العيادة هي أن ينظر العبد إلى جميع الصور على أنّها حقيقة الإله غير أنّ وحدة الأديان عنده لها تأويلات ورموز ولا تعني خروجه على الشريعة، لكنّ ابن عربي صنف كتب كثيرة ما بين منظوم ومنظور من أهمها الفتوحات المكية، "فصوص الحكم" الذي مزج فيه التصوف بالفلسفة، عمل ابن عربي كذلك على نشر الموشحات الصوفية في بلاد المشرق، حيث تعرف المشارقة بالموشحات الأندلسية ».[1]

نستخلص من هذا أنّ ابن رشد كان حامل لواء الفلاسفة العقلانيين، حيث قارن بين المتكلمين والتجربيين، فنجد المتكلمين يقولون هذا الكون لم يخلق من العدم وإنّما هو مادة، كما أنّه تحدث عن الروح، وأنّ الله ليس هو السبب في تصرفات المخلوقات من خير أو شر. أمّا العقلانيين يرون أنّ العقل عام وأنّ الإنسان يفنى، فهناك نجد تناقض مع العقيدة، فنجد العقلانيين لا يختلفون مع المتكلمين في خلود الروح، وكلاهما يتعلقان بالخالق وأنّه يعلم الغيب لا نستطيع أن نقارنه بالبشر، فالعقلانية غايتها الاعتدال في كل الظروف، إذ نجد البعض يرفضون المذهب العقلاني.

إلى جانب هذا نجد التصوف الإسلامي بين التأثر والتأثير حيث تأثر الصوفيون بالطبعة وجمال عناصرها من أجل التعبير عن أحاسيسهم وحبهم للخالق، وهذا إن دلّ على شيء قائما يدل على عظمة الله وقدرته، إذ نجد هنا الحب نوعان طبيعي وروحاني، فالثاني يتمثل

[1]- محمد عباسة: التصوف الإسلامي بين التأثر والتأثير، المرجع السابق، ص 14/13.

في الزهد إذ يهب كل حبه إلى الله تعالى، ولا يرغب في شيء آخر، إذ نجد لولا تأثر أيضا بمنهج الغزالي وبأسماء الله الحسنى.

فالتأثر ليس عاملا سلبيا فإنّه لا يتطور إلاّ بالاحتكاك والتأثر إذا فالتصوف الإسلامي يختلف باختلاف مذاهبه أثرا وتأثيرا، إذا عند مقارنتنا بين الفلسفة عند المتكلمين والتجريبيين وجدناها تختلف عن التصوف الإسلامي بين التأثر والتأثير بالرغم أنّهم تحدثوا كلاهما عن الدين وحبهما الكبير لله تعالى وعظمته، فعلى هذا الأساس نجد كل من الطرفين اعتمدا على المدرسة الأمريكية أو النقدية.

3.3 اللغة والترجمة:

تأخذ اللهجات في الموشحات والأزجال الأندلسية أولا:

« ظهر الشعر عند العرب لأول مرة في القرن الرابع الميلادي في القبيلة وبلهجتها. وفي نهاية القرن الخامس الميلادي استطاع فحول الشعراء الجاهليين أن يوحدوا لغة الشعر العربي ظلّ الشعر ينظم بلغة الفصحى إلى أن ظهرت الموشحات والأزجال الأندلسية التي لم تلتزم العناصر اللهجية، إلى الأجزاء الأخرى من الموشح، أمّا الزجال فقد نظم زجله بلغة غير معربة، يبنى الموشح على المقطوعات الشعرية التي تنظم بصورة محكمة وقد ظهر في الشهر العربي لأول مرة في بلاد الأندلس، تبدأ الموشحة بالمطلع وتختم بالخرجة وهي القفل الأخير الذي لا يلتزم قواعد اللغة العربية، فكانت الخرجة تنظم بالأعجمية».[1]

« فالموشح استمد معناه من الوشاح وقد جاء في "لسان العرب" لابن منظور أن الوشاح حلي النساء، كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف أحدها على الآخر، تتوشح المرأة به، وجاء في القاموس أنّ الوشاح هو: كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر، وهو أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها، فالوشاح عند اللغويين نوع من اللباس ترتديه المرأة للزينة وتوشحت المرأة أي لبست، ومنه اتسق توشح الرجل بثوبه. ومن آراء القدامى نستخلص أنّ الموشح

[1]- محمد عباسة: اللهجات في الموشحات والأزجال الأندلسية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد التاسع، ص 08.

في اللغة هو من الفعل وشح بمعنى لبس إذن سمي بذلك لأنّ إقفاله وأبياته وخرجته كالوشاح للموشحة، بخلاف الشعر التقليدي الذي يأتي على طراز واحد، أي على رتابة القافية والأوزان، لأنّ هذا الشعر الجديد يجمع عدة ألوان».[1]

« لكن اتخذ فريق من الباحثين الاسبان موضوع اللهجات في الأندلس حجة لتعريب أصل الموشح، خاصة بعد اكتشاف بعض الخرجات العجمية في الموشحات لقد ذهب هؤلاء الباحثون أنّ الخرجات العجمية التي ختمت بها بعض الموشحات الأندلسية ما هي إلاّ بقايا أغان اسيانية، والموشحات الأندلسية نشأت تقليدا لهذه الأغاني».[2]

« وتعرض ابن خلدون (ت 808 هـ- 1405 م) لتعريف الموشح في الفصل الذي خصصه للموشحات والأزجال حيث قال: "وأمّا أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه، وبلغ التنميق فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فنا منه سموه الموشح"، نستخلص من هنا أنّ الموشحات أشكال متعددة تتكون من أجزاء وتبنى على أعاريض».[3]

« رغم الإزدواج اللغوي والعناصر البشرية المختلفة، فإنّ الشعر الأندلسي لم ينحرف عن نظيره المشرقي من حيث اللغة باستثناء الموشحات، ولغة الموشحات ليست لغة متميزة، وإنّما هي اللغة العربية التي نظم بها الشعر وأمّا الخرجة التي كتبت بالعربية بالعجمية تارة وبالعامية تارة أخرى، ومن الخرجات التي نظمها الوشاحون الأندلسيون باللغة العجمية، قول يحي السرقسطي الجزار في خاتمة موشحة له:

بِئْسَ مَادَامَ الرَّقِيب وَمَا سَعِي

كُلَّمَا يَبْدو الحَبِيب بِدَامعَا

فَلَّمَا أَشدُو بِحَبيب مَنْ وَدَّعَا

---

[1]- محمد عباسة: الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، المرجعالسابق،ص 47.

[2]- محمد عباسة: المرجع السابق، ص 09.

[3]- محمد عباسة: الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، المرجع نفسه، ص 50/49.

كَذَا أَمّي فَلَمُولي البين إبْ

كَذَل مَيت طَارِي سَرّ الرَقِيب

أيضا ابن بقي الطليطلي في الخرجة من موشحة له.

إِذَا اللّيْلُ جَنَّ أَكَاد الحُزْني بِهِ أُجَن.

وَأَثْني الشَجَن وَالكَرْبَة عَنّي بَيَنت دَنَّ.

وَاسْأَل مَنْ عِنْدِي أَنْ يُغَنِي عَلَى اللِسَن.

مِيحَالين كَرِي مِي مَرَت لِطَرِي.

عَارِف كُلَ شَيْء أَنُون شيُوتَادَا بالله كُفْرِي؟.

ومعنى الخرجة:

الحسود مثل الملك أنّه يريد موتي

كل النّاس تعلم وأنا لا بالله ما أفعل؟ ».[1]

« أمّا فيما يخص الزجل الذي يمثل الفن الثاني المستحدث في الأندلس بعد الموشح وقد تباينت أراء المؤرخين القدامى في نشأة هذا الفن، ويتفقون على أن الزجل وليد البيئة الأندلسية».[2]

« لكن الزجل الأندلسي فقد مرّ بأطوار لغوية مختلفة، فكان الطور الأول اللغة الفصحى غير المعربة، وكان الزجل في ذلك الوقت من اختصاص الطبقات المثقفة التي نسجته على منوال الموشحات، لذلك لم يستطع الزجالون الأولون التخلص من الإعراب إلى أن جاء أبو بكر بن قزمان الذي مهد الطريق في ديوانه إلى العناصر اللغوية العامية، التي غزت اللغة

---

[1]- المرجع نفسه، ص 12/11.

[2]- محمد عباسة: اللهجات في الموشحات والأزجال الأندلسية، المرجع السابق، ص 13.

الرفيعة في الزجل حيث قال: "وجردته من الإعراب، وعربته من التحالي والاصطلاحات تجريد السيف عن القراب".

فلا تعبر القصائد العامية إزجالا لأنّه ليس كل ما هو غير معرب زجلا فهناك لغة مجردة من الإعراب قواعد مطردة وهي قريبة من الفصحى، ولغة الزجل تتألف من هذه اللغة غير المعربة بالإضافة إلى عناصر لغوية أندلسية اختلطت فيها اللهجات، كما نجد النطق في لغة الزجل يختلف كثيرا عن النطق في اللهجة الأندلسية، فلا يطرأ تغير في لغة الزجل إلا على أواخر الكلم أو حركات الإعراب وهذا ظاهر في الأزجال الأندلسية أمّا في اللغة العامية فقد تغير جميع أصوات الكلمة ويجب أن نشير أيضا إلى أنّ الزجالة الأندلسيين لم يولوا اهتماما لعجمية أهل الأندلس، فلمّا نجد من اللهجة الرومانثية الاسبانية إلاّ بعض الألفاظ المتناثرة، ولقد أولى المتشرقون اهتماما بالغا للأزجال الأندلسية وبالأخص ديوان ابن قزمان. وزعموا أنّ أزجال الإمام تمثل ذروة الشعر العربي وواقع المجتمع الإسلامي فمن ذلك يقول الإمام من رجل له:

يَاه مُطرْ نَنْشليَاطُ.

تَن حَزِينْ تَنْ بناطُ.

تَرَا اليَوْم وَاشطاطُ.

لَوْ نَذَقْ فِيه غَيْر لَقِيمهْ ».[1]

« أمّا بالنسبة للترجمة في العصور الوسطى التي تعتبر عامل من عوامل حوار الثقافات، ووسيلة للتعارف بين الأمم، ومن خلال الترجمة يمكن نقل المعارف من أمة إلى أمم ومن لغة إلى لغات أخرى، حيث ترجع الترجمة وتعلم اللغات إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " مَنْ تَعَلَمَ لُغَةَ قَوْمٍ أَمِنَ شَرَّهُمْ"، وكان زيد بن ثابت ممن تعلموا السريانية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كما تعلم كذلك الفارسية واليونانية، وفي أوائل الصر الأموي أرسل خالد بن يزيد معاوية بعثة إلى الإسكندرية في طلب الكتب في

[1]- محمد عباسة: الموشحات والأزجال الأندلسية، المرجع نفسه، ص 134/132.

الطب والكيمياء لترجمتها إلى العربية، كما نقل خالد بن يزيد الكثير من الكتب من اليونانية والسريانية إلى العربية وكان له الفضل في ظهور الترجمة والمترجمين، أي أنّ حركة الترجمة في هذا العصر اقتصرت على المحاولات الفردية».[1]

« لقد تأثر العرب بأدب الفرس والهند من خلال الترجمات ولكنّهم لم يتأثروا بالأدب اليوناني لبعده عن أحاسيسهم وتعارض بعض مواضيعه مع العقيدة الإسلامية، وقد تطورت اللغة العربية بفضل الترجمة حيث أنّها اكتتبت مصطلحات علمية ذات مصادر رومية وفارسية، وكان الأوروبيون لا يعرفون إلاّ الشيء القليل عن فنون اليونان، كما أنّهم اهتموا بالحضارة العربية الإسلامية عند احتكاكهم بالأندلسيين، في القرون الوسطى اهتمت الكنيسة على محاربة الفلسفة ومنع الأشغال بعلوم العرب واعتبرت ذلك ضربا من الكفر.

وقد حرص بعض المترجمين الأوروبيين على عدم ذكر أسماء المؤلفين العرب بسبب الكره الذي كانوا يكنونه للعرب والمسلمين، فمنهم من وضع اسمه بدلا من اسم المؤلف العربي أو أبقى على الكتاب المترجم مجهول المؤلف، في حين أنّ الأوروبيون أنشئوا مدارس للترجمة وظفوا فيها مترجمين من كافة أنحاء أوروبا كما استعانوا بالمسلمين المحترفين واستخدموا الأسرى والجواري، تعد طليطلة بعد سقوطها على يد النصارى بقيادة الملك ألفونسوا السادس في سنة (478 هـ-1085 م) أول مدينة في أوروبا ظهرت فيها حركة الترجمة، ومن أهم العوامل التي شجعت النصارى على الترجمة لقد جعل النصارى من طليطلة مركزا مهما انتشرت منه فنون العرب المسلمين، إذ قام ملكها ألفونسوا السادس بإنشاء معهد المترجمين الطليطليين الذي ذاع صيته في أوروبا».[2]

« وفي فرنسا اشتهرت عدة مدن بمراكز الترجمة في القرون الوسطى، نذكر من بينها مدينة مرسيليا وتولوز وتاربونة التي ترجم فيها بعض العلماء في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي عددا من الكتب العلمية الأندلسية فهي أشهر المدن الفرنسية التي أولت اهتماما بالغا بعلوم العرب. ومن أبرز أعلامها أرنوديفيلانوفا (ت 713 هـ-1313 م) الذي كان يعرف اللغة العربية كما يرجع إليه الفضل في تطور دراسة الطب بهذه الجامعة، وقد

[1]- محمد عباسة: الترجمة في العصور الوسطى، مجلة حوليات التراث، المرجعالسابق،ص 09.
[2]- المرجع نفسه، ص 10.

ترجم عددا من الكتب العربية من بينها كتب الطب والترجمة، أمّا في العهد العثماني فقد غابت الترجمة عند العرب وتعرضت اللغة العربية إلى الجمود ووقع الأدب العربي في الانحطاط كما انعدمت الدراسات العلمية والفلسفية».[1]

[1]- محمد عباسة: الترجمة في العصور الوسطى، المرجع نفسه، ص 13/12.

الخاتمة

خاتمة:

انطلقت هذه الدراسة باحثة عن أجوبة لإشكاليتها المتمثلة جهود محمد عباسة في الدراسات المقاربة، وتطلعاته في خدمة الأدب المقارن عالميا وعربيا فشكل له مساحة واسعة في كل جوانبها النظرية والتطبيقية.

وقارنا بين الغرب في الأدب المقارن ونظيرة المشرق الغربي للتعرف على الدراسات المقارنة مأمولة.

ويمكن أن نوجز فيما يلي أهم النتائج المحققة.

1- إن نشأة الأدب المقارن في أوربا وخارجها، وتطوه كانت وثيقة الصلة بالاتجاهات والمذاهب الفكرية، واتساع مساحته أكثر حتى يستوعب كل الأفكار والاتجاهات المعاصرة.

2- تنوع الدراسات الأدبية المقارنة، واختلاف توجيهاتها، ذلك راجع إلى تنوع المقارنين المغاربة على سبيل المثال" أبو العيد دودو"الذي كرس جهوده إلى التعريف بالتوجه الألماني بعد عودته من بعثته.

3- جذب مختلف حقول الأدب المقارن واهتمام المقارنين المغاربة، بالإضافة إلى دراسات التأثير والتأثر.

4- اعتنى الباحثون أيضا في الأدب المقارن بالأخياس الأدبية، وكشف أعمالهم عن المنهج أو الموضوع.

وختاما، فإن هذه الدراسة المقارنة تعد جهود باحثينا الذي كان لهم صدد في تحقيق وجودهم، الذي يقدم مادة خصبة لهذه الدراسات المغرب الغربي خاصة العالم الغربي خاصة.

ولا ندعي بأننا توصلنا إلى حل للأدب المقارن، فهذه لا تقع على فرد مهما كانت صفته ومستواه، وإنما هي مسؤولية جماعية تقع على جل المقارنين، بغض النظر إلى اختلافهم العرقي.

ونرجو أن تكون من خلال هذه الدراسة قد أدينا بعض ما علينا من واجب تجاه هذا التخصص الهام.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

الكتب :

- ابو العيد دودوة : الجزائر في المؤلفات ...الالمان , دار الجزائر , (د.ط) , 1975.
- بكار يوسف : الادب المقارن الشركة العربية ط2 2008
- سعيد علوش : مدارس الادب المقارن المركز الثقافي الغربي ط 1 , 1987
- الطاهر احمد مكي : الادب المقارن – اصوله و تطوره و مناهجه ط 4 ديسمبر 1985
- طه ندى : الادب المقارن , دار النهضة ط1 بيروت 1973
- غويار: الأدب المقارن، (د.ط)، ص
- مجدي وهبة: الأدب المقارن، دار لونجمان، ط 1، 1991
- محمد عتيمي هلال : في النقد التطبقي و المقارن , دار النهضة (د.ط)
- محمد عتيمي هلال : في النقد التطبقي و المقارن المرجع الشسبق
- محمد عتيمي هلال: الأدب المقارن، المرجع السابق
- محمد عتيمي هلال: دور الأدب المقارن، دار النهضة، ط1، (د.ت)،
- محمد عنيمي هلال : الادب المقارن : دار النهضة ط 1 1938مقالات :

2- مقالات

- محمد عباسة: الترجمة في العصور الوسطى، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الخامس، 2006
- محمد عباسة: التصوف الإسلامي بين التأثر والتأثير، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد العاشر، 2010
- محمد عباسة: العلاقات الاجتماعية بين العرب والفرنجة وتأثيرها على الأدب والفكر، مجلة حوليات التراث، مستغانم، العدد 03، 2005
- محمد عباسة: العلاقات الاجتماعية بين العرب والفرنجة وتأثيرها على الأدب والفكر

- محمد عباسة: العلاقات الثقافية بين العرب والفرنجة خلال القرون الوسطى، مجلة حوليات التراث، مستغانم، العدد 13، 2013
- محمد عباسة: الفلسفة العقلانية عند ابن رشد، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الحادي عشر، 2011
- محمد عباسة: اللهجات في الموشحات والأزجال الأندلسية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد التاسع
- محمد عباسة: الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب، ط 1، 2012،
- محمد عباسة: حب الآخر في الشعر الأندلسي والبروفنسي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد 14
- محمد عباسة: نشأة الشعر الديني عند العرب وأثره في الآداب الأوروبية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الأول، سنة 2004

مواقع الانترنيت :

- موسوعة حرة 14:00 يوم مارس 2017 ابراهيم عوض في الادب المقارن مباحث

الفهرس

البسملة ....

كلمة شكر ....

إهداء ....

مقدمة .... أ

الفصل الأول: الأدب المقارن عند الغرب 01

المبحث الأول: نشأة الأدب المقارن 02

المبحث الثاني: نشأة الأدب المقارن عند العرب 07

المبحث الثالث: المقارنون العرب وموقفهم من مدارس الأدب المقارن 18

الفصل الثاني: منهج الدكتور محمد عباسة في الدراسات المقارنة 23

المبحث الأول: ثقافة الباحث 24

المبحث الثاني: منهج الباحث بين مدارس الأدب المقارن 26

المبحث الثالث: مساهمة الباحث في تكوين المدرسة العربية 32

الفصل الثالث: نماذج من أعمال الدكتور محمد عباسة 37

المبحث الأول: الأثر والتأثير والصلات الأدبية 38

المبحث الثاني: الفلسفة والتصوف 50

المبحث الثالث: اللغة والترجمة 55

الخاتمة 61

قائمة المصادر والمراجع 62

الفهرس 63